تحديد مصطلح الادب الاسلامي

من الواضح ان(مصطلح الادب الاسلامي) مكون من لفظين هما (ادب) و (اسلامي) .

فمن حيث كونه (ادبا) اي شانه شان الاداب الاخرى من حيث كونه يتميز بخصائص جمالية وفنية معينة ، وهذا الجانب الجمالي وحده الذي يميز ما هو ادب عن غيره من ضروب القول الاخرى .

اما كونه (اسلاميا) يعني ان يجمع الى ما تقدم وهو الفن والجمال التعبيري – الرؤية الفكرية المنطلقة من عقيدة الاسلام – وان يكون قادرا على تشكيل المشاعر التشكيل الاسلامي ، وان تكون العقيدة هي التربة التي تنمو فيها هذه المشاعر ، لتكون ثمارها بعد ذلك هذا الادب المتميز عن غيره من خلال منهج الدين والتبعية الكاملة له .

وسنعرض هنا بعض اراء النقاد الاسلاميين الذين عرفوا لنا الادب الاسلامي ، إذ عرفه د- محمد قطب بقوله : ((إنه التعبير الجميل عن الكون ، والحياة ، والانسان من خلال تصور الاسلام)) .

أما د- عبد الباسط بدر فيراه ((مصطلحا يطلق على الاعمال الأدبية التي تعالج قضية ما ، برؤية إسلامية صافية)) .

ولهذا المصطلح – اي الادب الاسلامي مفهومان :

الأول خاص : وذلك من خلال الحقبة الزمنية المتعارف عليها- اي دراسة الادب في عصر صدر الاسلام والعصر الاموي ، وهذا المفهوم هو الذي يخصنا في دراستنا للأدب الاسلامي ، وان تحديد بداية هذا الادب اختلف فيه ، اذ انقسم علماء الادب ونقاده على قسمين :

اصحاب القسم الاول : يرى ان الادب الاسلامي ظهر منذ بعثة النبي (عليه الصلاة والسلام) واستمر يؤدي رسالته طيلة عصر الرسول وعصر الخلفاء الراشدين وعصر بني امية ، لان نزول القران غير من مجرى الادب تغييرا كبيرا وواضحا .

وكان من ابرز اصحاب هذا الرأي : د. طه حسين في كتابيه (المجمل في الادب العربي) و (المفصل في الادب العربي) ، واحمد حسن الزيات في كتابه (تاريخ الادب العربي) وغيرهم .

اما اصحاب القسم الثاني : فيرون ان الادب الاسلامي لم يظهر على الحقيقة الا على يدي الاجيال التي ولدت ونشات وعاشت في العصر الاموي (٤١هـ – ١٣٢)

لانهم لم يتاثروا الا بالاسلام ، ولم يعيشوا الا فيه ، ولم يكن بينهم وبين الجاهلية اي صلة من الصلات فشعراء العصر الاموي وكتابه اسلاميون بامتياز .

وكان من ابرز اصحاب هذا الراي : د. محمد عبد المنعم الخفاجي في كتابيه (الحياة الادبية بعد ظهور الاسلام) و (الحياة الادبية في عصر بني امية) وجرجي زيدان في كتابه (تاريخ اداب اللغة العربية)

وفي ضوء ماتقدم اذا اردنا ان نعرف الادب الاسلامي نقول : ((هو ذلك النتائج الادبي شعرا كان او نثرا والذي ينتمي الى فترتي عصر صدر الاسلام والعصر الاموي اي من بعثة الرسول (عليه الصلاة والسلام) الى مقتل الخليفة الراشدي علي بن ابي طالب (عليه السلام) سنة ٤٠ هـ ومن سنة (٤١ هـ - ١٣٢ هـ).))

المفهوم الثاني للادب الاسلامي هو (عام): ونقصد بهذا المفهوم ان الادب الاسلامي اطلق على ادب الشعوب الاسلامية ككل – ايا كانت لغتها -اي ان الادب الاسلامي على وفق هذا المفهوم تميز بالاتساع والشمول وهذا المفهوم لايهمنا

الموقف الاستشراقي من تحديد مفهوم الادب الاسلامي .

ذهب بعض المستشرقين الى ان الاسلام يبدا من العصر العباسي ، وفي ضوء هذا التحديد يكون الادب الاسلامي عندهم ينطلق من العصر العباسي ، وهذا ما اكده المستشرق (كارل بروكلمان) بقوله :

((فقد سلك شعراء العصر الاموي دون مبالاة في مسالك اسلافهم الجاهليين ، ولم تسد روح الاسلام حقا الا بعد ظهور العباسيين ، وهكذا نما في عهد العباسيين ادب اسلامي بلسان عربي)) وقد سبقه الى ذلك المستشرق نكلسن حين عد الادب الاموي ((امتداد للادب الجاهلي ،واقل منه شانا بل انه لا يعتبره في بعض المواقف ادبا بالقياس الى الادب العباسي ، لان الادب في نظره يشمل الشعر بضروبه والنثر بالوانه المختلفة بما في ذلك الترجمة والبحوث العلمية ، وليس

ثمة شيء من ذلك في الادب الاموي الذي اقتصر على الغزل ، والفخر ، والحماسة وشعر النقائض)) .

نقف عند الراي الاول ونقول : ان هذا الطرح ليس بالصحيح ، لانها مجرد اوهام واهية ، لان الاسلام كان له التاثير الاول والاقوى على الشعر والشعراء في العصر الاسلامي وهذا ما اكدته المستشرقة (ريناتا ياكوبي) بقولها : ((لقد اعتدنا ان نشرح تغيرات كثيرة طرات على الشعر الاموي بتاثير الاسلام ...))

في حين وقع نكلسن في تناقض مع نفسه حين عد الادب الاموي امتدادا للادب الجاهلي ، وهو يسعى من خلال ذلك الى امرين :
الاول- افراغ العصر الاموي من محتواه الادبي
الثاني – في هذا النص بعد سياسي وفكري هدفه الغاء التراث العربي الاصيل بلغته ، وموضوعاته ، وقضاياه ، ولاسيما الفنون النثرية التي كانت سائدة في ذلك العصر كالخطابة ، والرسائل الادبية .

الادب الاسلامي بين القائل والمقول

في الحقيقة ان عملية (التوصيل) ترتكز في فهم العملية الادبية على ثلاثة اطراف هي :

اولا: المرسل او الكاتب

ثانيا : النص (اللغة)

ثالثا : المتلقي

اختلف بعض الباحثين حول متى يكتسب الادب (صفة الاسلام) ، اذ هناك رايان في هذه المسالة :

الرأي الاول : يرى ان الادب يكتسب صفة الاسلام من خلال النظر الى القائل او المرسل من دون النص ، اي ان الادب الاسلامي لا يصدر الا عن اديب مسلم .

الرأي الاخر : يرى اصحابه ان الادب يكتسب صفة الاسلام من خلال النظر الى النص الادبي بغض النظر عن قائله . وحجتهم في ذلك هي :

اولا : ان كل ما اتفق مع الاسلام فهو اسلام مهما كان مصدره .

والأمر الأخر ان حصر الادب الاسلامي في اديب مسلم يضيق مفهومه ويخرج طائفة كثيرة من الكتابات من مفهوم الادب الاسلامي .

من هنا نستطيع ان نميز بين (الادب الاسلامي) و (اسلامية الادب) ، اذ ان الاول يطلق على عصر معين معروف ، اما المصطلح الثاني فيعني ألا يحصر الادب في عصر معين ، لأنه ادب شمولي يتسع لكل عصر ، وزمان ، ومكان .

- موقف الاسلام من الشعر-

تحدث الباحثون كثيرا عن وضع الشعر في العصر الاسلامي بصورة عامة وفي عصر النبوة بصورة خاصة ، فقد ذهب بعض المستشرقين الى القول : إن الاسلام أضعف الشعر وحاربه ،ومن ذلك على سبيل المثال – لا الحصر- قول المستشرق (جوته) : ((إن الدين ذا كان أثر سلبي على الفن الشعري ومعوقا لنموه وازدهاره)) أي إن الإسلام وقف موقفا غير مشجع من الشعر والشعراء ،وقد شاطر بعض النقاد العرب هذه الرؤية الاستشراقية من أن الشعر قد أصيب بالضعف في عصر صدر الإسلام وبنوا على هذا الرأي نتيجة اسموها (إن الاسلام اضعف الشعر) ، لان الاسلام في نظرهم قد هجا الشعر وحط من شأن الشعراء في القران الكريم والسنة النبوية الشريفة ، وبالغ اخرون بأن الاسلام اوقف الشعر وحرمه، كل هذه الاقوال تقتضي الوقف بشكل مفصل عند الايات الكريمة التي تخص الشعر والشعراء والأحاديث النبوية الشريفة بشأنها ، وقبل الخوض في موقفي القران الكريم والسنة النبوية الشريفة من الشعر والشعراء نشير إلى أن قول الذي أورده بعض الباحثين والنقاد من أن الاسلام اضعف الشعر قول غير دقيق ويحتاج الى مراجعة شديدة ، لان من الظلم للإسلام أن نقول بأنه : ((كف العرب عن الشعر ووقف نشاطه)) ، لان الاسلام لم يدع الى توقف الشعر مطلقا ، وإنما دعا إلى هجر بعض الاغراض التي تخالف رسالته وتنافي دعوته إلى الفضائل ومكارم الاخلاق ، وذلك من قبيل الغزل الفاحش أو الهجاء المقذع ، او الفخر الداعي إلى احياء النعرات وأثارة الضغائن ، أما غير ذلك من الشعر فانه لم يتوقف ، إذن ما أصاب الشعر في عصر صدر الاسلام ليس ضعفا وإنما هو تحول من مجال الشر إلى مجال الخير ، ناهيك بأن هذا الضعف الذي اصاب الشعر كان مرده إلى الشعر الجاهلي نفسه ، لان هذا الشعر كان يعيش مرحلة الشيخوخة والهرم وكان يعيش حالة ركود قبل البعثة النبوية ، وذلك لعدم وجود الشعراء الفحول ،أو انه ضعف في مستوى الشعراء انفسهم بسبب كبر سنهم .ومن هذا المنطلق خرجت قضية كبيرة ومهمة جدا في عصر صدر الاسلام عرفت باسم (موقف الاسلام من الشعر) ،لذا سنحاول هنا تسليط الضوء على ذكر النصوص القرآنية والأحاديث النبوية من الشعر والشعراء ومناقشتها بأسلوب موضوعي منهجي وواضح .

أولا- موقف القران الكريم من الشعر

لقد وردت في القران الكريم آيات تناولت الشعر والشعراء حملها بعض الباحثين على غير ما وضعت له ، وبنوا على تصورهم لها احكاما واهية ، إذ رأوا أن القران الكريم وقف من الشعر والشعراء موقف العداء والمحاربة ، مما ادى إلى

انحسار الشعر ، أو ضعفه في فجر الدعوة الاسلامية ، ويمكن ان نرصد الايات التي ذكرت الشعر والشعراء ، ان اول دليل اعتمد عليه اصحاب ذلك الرأي هو قوله تعالى : ((وَالشُعراءُ يَتْبَعهُمُ الغَاوُونَ ، المَ تَرَ انَّهم في كُلّ وادٍ يَهِيمُونَ ، وأنّهم يَقولُونَ ما لا يَفْعَلُونَ ...)) الشعراء : ٢٢٥- ٢٢٦ .

وهم بهذا الدليل يقولون : ان القران يحارب الشعر ، ويحط من قدر الشاعر ويصفه بأوصاف مشينة ، غير ان هذا الدليل دليل مبتور لنكمل قراءة الاية الكريمة ، قال تعالى : ((وَالشُعراءُ يَتْبَعهُمُ الغَاوُونَ ، المَ تَرَ انَّهم في كُلّ وادٍ يَهِيمُونَ ، وأنّهم يَقولُونَ ما لا يَفْعَلُونَ إلّا الذين امنوا وعملوا الصّالحاتِ وذكروا اللهَ كثيرًا وانتصروا من بَعْدِ ما ظُلِمُوا وَسَيعْلمُ الذين ظَلَمُوا ايّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلبُونَ)) . وبقراءة الاية كاملة نجد ان الامر ينجلي ويتضح ان الاسلام – القران – لا يحارب كل الوان الشعر العربي ، بل ان المذموم من الشعر هو الذي قاله شعراء المشركين في مهاجمة النبي (عليه الصلاة والسلام) وهجاء الصحابة (رضي الله عنهم) وما لاكوا به اعراض المسلمين هذا هو الشعر الذي حاربه الاسلام ، بالإضافة الى ما يوضحه الاستثناء الوارد في قوله تعالى : ((إلا الذين امنوا وعملوا الصالحات ...)) فالقران اذن لم يهاجم الشعر الذي قاله شعراء المسلمين، إذ إن النص القراني صنف لنا الشعراءعلى صنفين :

االصنف الاول: هم الشعراء المذمومون : ويقصد بهم شعراء المشركين الذين وقفوا ضد الدعوة الاسلامية ، وكان لهم اتباع من اهل الضلال والغواية ، الراغبون في الفسق والأذى ، الزائلون عن الحق .

الصنف الثاني : الشعراء الصالحون : ويقصد بهم شعراء المسلمين الذين التزموا بمنهج الدعوة الاسلامية .

- **دعوى المشركين أن القران الكريم شعر وأن الرسول (عليه الصلاة والسلام) شاعر -**

ما إن نزل القران الكريم على الرسول محمد (عليه الصلاة والسلام) وسمعت به قريش حتى أعلنوا الحرب على النبي (عليه الصلاة والسلام) وناصبوه العداء ، واخذوا يتبارون في تكذيبه وإلحاق الاذى به ، ووظفوا الشعر لينالوا من القران الكريم ويكذبوا برسالة الرسول (عليه الصلاة والسلام) وينكروا نزول الوحي عليه ، ومن هنا جاء رد القران الكريم على هؤلاء في النصوص القرآنية الاتية :

١- قال تعالى : ((وَمَا عَلّمنَاهُ الشّعْرَ وَمَا يَنَبغِى لَهُ ، ان هُوَ إلا ذِكرٌ وَقُرانٌ مُّبِينٌ)). يسن : ٦٩
٢- قال تعالى : ((وَيَقُولُونَ ائنّا لتَارِكُوا الهتنَا لشاعِرٍ مَّجنُونٍ)) . الصافات : ٣٦
٣- قال تعالى : ((بَل افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ)) الانبياء : ٥
٤- قال تعالى : ((ام يَقولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ المَنُونِ)) . الطور : ٣٠ .
٥- قال تعالى : ((وَمَا هُوَ بِقَولِ شَاعِرٍ قَليلًا مَّا تُؤمِنُونَ)) . الحاقة : ٤١ .

إن المتأمل للآيات الواردة في الشعر والشعراء يجد أنها اتت في معرض الدفاع عن الرسول (عليه الصلاة والسلام) ، ونفي الشعر عما أوحاه الله تعالى اليه ، لان طبيعة الشعر تتنافى مع طبيعة الوحي والرسالة ،فهذه الايات جاءت كرد فعل على مشركي قريش فقد اتهموا الرسول (عليه الصلاة والسلام) بأنه شاعر ، وبأن القران الكريم هو شعر ، فتصدت لهم هذه الايات لتبعد عنهما هذه التهمة لكن هنا لابد من الاشارة بأن نفي صفة الشعر عن القران الكريم وعن الرسول (عليه الصلاة والسلام) لا يعني الحط من قيمة الشعر والشعراء ، وإنما هو من باب دفع الشبهة عن الاسلام وفي ذلك يقول محمد مصطفى هدارة : ((وتنزيه القران الكريم عن ان يكون شعرا أو أن يكون الرسول شاعرا ليس طعنا على الشعر باي صورة من الصور ولا غضا من قيمته ، فالأمر لا يخرج عن كونه إقرارا لواقع ثابت لاشك فيه)).

ومن خلال ما تقدم نلحظ أن الانتقاد الموجه في الايات السابقة ليس للشعر ذاته ولا للشعراء انفسهم ، وإنما هو انتقاد للسلوكيات والأخلاقيات التي صدرت عن فئة من الشعراء .

ثانيا- موقف السيرة النبوية من الشعر

أ- موقف الرسول (عليه الصلاة والسلام) من الشعر .

لقد استدل الذين ادعوا ان الاسلام حارب الشعر بقوله (عليه الصلاة والسلام) : ((لان يمتلئ جوف احدكم قيحا خير له من ان يمتلئ شعرا)) ونريد ان نقول هنا انهم يغالطون انفسهم ، لان للحديث تكملة ينبغي إلا تحذف وهي ((لان يمتلئ جوف احدكم قيحا خير له من ان يمتلئ شعرا **هجيت به**)) اي الشعر المقصود هو الشعر الذي تعرض به المشركون للنبي (عليه الصلاة والسلام) .

وهناك قول له (عليه الصلاة والسلام) بشأن أمرؤ القيس يفهم منه على الظاهر موقف قاس إزاء الشعراء خاصة وشعراء ما قبل الاسلام عامة وهو قوله (عليه الصلاة والسلام) : ((أمرؤ القيس صاحب لواء الشعراء الى النار أو أشعر الشعراء وقائدهم إلى النار))

إن حديث النبي (عليه الصلاة والسلام)عن شعر أمرؤ القيس كان منصبا في الاساس على جوانب معينة من شعره ، اعني بها الصور الوصفية الحسية الفاحشة في غزله التي تتنافى مع مبادئ الدين الإسلامي ، ودعوته الى العفة ، والخلق القويم ، وليس المراد به شعر الشاعر عامة أو شخصه على الحقيقة .

اما مواقف الرسول (عليه الصلاة والسلام) من الشعر والشعراء فهي كثيرة ، نذكر منها قوله (عليه الصلاة والسلام) : ((انما الشعر كلام مؤلف فما وافق الحق منه فهو حسن ، وما لم يوافق الحق منه فلا خير فيه)) وقال (عليه الصلاة والسلام) : ((انما الشعر كلام ومن الكلام طيب وخبيث)) . ويروى عن عائشة (رضي الله عنها) ان النبي (عليه الصلاة والسلام)

بنى لحسان بن ثابت في المسجد منبرا ينشد عليه الشعر ، كما ان حسان بن ثابت قد قال للرسول (عليه الصلاة والسلام) : ((لو وضعت هذا – اخرج لسانه – على حجر لفلقه ، فقال له الرسول (عليه الصلاة والسلام) : اذهب الى ابي بكر ليعلمك مثالب القوم ، اذهب ومعك جبريل)) .

وكان الفن الشعري هو اول وسيلة سلاح استخدامها الرسول (عليه الصلاة والسلام) للرد على شعراء المشركين ، فقد كان يقف بجانبه ثلاثة من شعراء المدينة يدافعون عنه ويردون على شعراء مكة وغيرهم من خصومه وهم (حسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، وعبد الله بن رواحة) .

كما استحسن الرسول (عليه الصلاة والسلام) الشعر الجاهلي ، فقد استمع النبي (عليه الصلاة والسلام) قول طرفة بن العبد :

ستبدي لك الايام ما كنت

ويأتيك بالأخبار من لم تزود

فقال : ((ان هذا من كلام النبوة))

وروي أن الرسول (عليه الصلاة والسلام)عندما سمع بيت امرئ القيس (قفا نبك) قال : ((قاتل الله الملك الضليل ، وقف واستوقف وبكى واستبكى وذكر الحبيب ومنزله في مصرع واحد)) فيبدو أن للرسول (عليه الصلاة والسلام) نظرة نقدية إلى مطلع القصيدة فوصف ببراعة امرئ القيس فيه وقد امتاز امرئ القيس من الشعراء من الناحية الفنية في أمور كثيرة منها الوقوف على الاطلال ، والقدرة على الاستهلال وغير ذلك .

وكذلك استمع النبي (عليه الصلاة والسلام) إلى شعر أمية بن أبي الصلت ، وذلك على نحو ما رواه الامام مسلم في صحيحه عن عمرو بن الشريد عن أبيه (رضي الله عنه) قال : ردفت النبي (عليه الصلاة والسلام) يوما فقال لي : هل معك من شعر بن أبي الصلت شيء ؟ فقلت نعم قال هيه : فأنشدته بيتا فقال هيه ثم أنشدته بيتا فقال : هيه حتى أنشدته مائة بيت .

ويروى أن الرسول (عليه الصلاة والسلام) كان من المعجبين بأدب زهير بدليل قوله : ((إننا قد سمعنا كلام الخطباء والبلغاء وكلام بن أبي سلمى فما سمعنا مثل كلامه من أحد))

ويكفي ان نذكر ان النبي (عليه الصلاة والسلام) عفا عن كعب بن زهير ، وخلع عليه بردته بعد ان استمع الى قصيدته التي مطلعها :

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول

متيم اثرها لم يفد مكبول

وكذلك تأثر الرسول (عليه الصلاة والسلام) بشعر الشاعرة قتيلة بنت الحارث حين رثت أخاها الذي قتل مشركا فقال (عليه الصلاة والسلام) : (لو سمعت هذا قبل أن اقتله لما قتلته) .

وقد ظل الرسول الكريم (عليه الصلاة والسلام) مستمعا له حتى في مرضه الذي توفي فيه عندما جعلت فاطمة (عليها السلام) تبكي وتقول : بابي وأمي أنت والله كما قال القائل :

وابيض يستسقي الغمام بوجهه

ثمال اليتامى عصمة للأرامل

فأفق صلوات الله عليه فقال : هذا عمي أبو طالب .

الى غير ذلك من مواقف وأحاديث يصعب حصرها وكلها لا تدل إلا على موقف واحد هو ان الرسول (عليه الصلاة والسلام) منح الشعر والشعراء مكانة ومجلسا يليق بهم ،

ـ أثر القرآن الكريم على الشعر ـ

أثر القرآن الكريم تأثيرا كبيرا في مسيرة الأدب ، وسماته، وخصائصه، وأساليبه ، ومن أبرز أثاره :

أ- أثره في الاساليب والألفاظ : وهذا يتضح فيما يأتي :

١- وحد القرآن الكريم لهجات اللغة العربية في افصح لهجة ، وأعذب لغة : وهي لهجة ولغة قريش ، ثم حفظ اللغة من الضياع والانقراض ، كما انقرضت لغات كثيرة .

٢- كان القرآن اول عامل في ذيوع اللغة العربية وانتشارها وجعلها لغة رسمية عامة في شتى البلاد التي فتحها المسلمون ، وهذا باعتراف بعض المستشرقين ، إذ يرى المستشرق (نولدكه) أن العربية لم تصر عالمية حقا إلا بسبب القران الكريم والإسلام ، وبهذا صارت العربية مقدسة كذلك .

٣- جدد القرآن الكريم كثيرا من الالفاظ ، فنقلها إلى معان اسلامية ، مثل (المؤمن ، الكفر والنفاق ، والصيام ، والزكاة ، والصلاة ، والحج) ، إذ إن لفظ (المؤمن) كان معروفا في الجاهلية ولكن كان يدل عندهم على الأمان أو الايمان وهو التصديق ، فأصبح في الاسلام يدل على المؤمن وهو غير الكافر ، ولفظة (الكفر) كانت تعني الستر مطلقا ، اما في الأسلام فأصبحت تعني تكذيب الرسول (عليه الصلاة والسلام) في شيء مما جاء به ، ولفظة (النفاق) كانت تعني الموت من نفقت الدابة إذا ماتت ، اما في الإسلام فأصبحت تطلق الرجل الذي اظهر ايمانه واخفى كفره .

٤- تأثر الشعراء بما أشاعته بلاغة القرآن الكريم من سهولة الالفاظ ورقتها فرأينا معجما جديدا تغلب عليه العذوبة والوضوح مقارنة بالمعجم الذي خلفه الجاهليون ،إذ هذب القرآن الاساليب والألفاظ ، وذلك بكثرة ترديد المسلمين لآياته على السنتهم في الصلاة والعبادة ، وطول درسهم له وتفهمهم إياه واستنباط احكام دينهم وشريعتهم منه ، فنشأ من ذلك ان هجر كثير من الالفاظ الحوشية والمعيبة واستبدل بها الالفاظ العذبة السائغة ، وعدل عن الاساليب القديمة المعقدة الى الاساليب السهلة الممتنعة .

٥- وقد كثرت محاكاة الشعراء والكتاب والخطباء لعبارات القرآن الكريم في الفاظه ، وأساليبه ، واقتباسهم من اياته فيما يقولون ، واستشهادهم بها في وعظهم ومحاورتهم وجدلهم .ومن ذلك على سبيل المثال -لا الحصر- قول عبدالله بن رواحة :

شَهِدْتُ بِأَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ النَّارَ مَثْوَى الْكَافِرِينَا
وَأَنَّ الْعَرْشَ فَوْقَ الْمَاءِ طَافٍ وَفَوْقَ الْعَرْشِ رَبُّ الْعَالَمِينَ

وقد اقتبس الشاعر في صدرالبيت تركيب (بأن وعد الله حق) من قوله تعالى : ((ان وعد الله حق)) الكهف : ٢١ ، في حين اقتبس في عجز البيت الاول تركيب (مثوى الكافرينا) من قوله تعالى : ((اليس في جهنم مثوى للكافرين)) العنكبوت : ٦٨ واقتبس صدر البيت الثاني من قوله تعالى : ((وكان عرشه على الماء)) هود : ٧ .

٦- وقد خلد القرآن الكريم صور البيان الرائع والأساليب البديعة التي استخرجها بعض الادباء وسموها المحسنات البديعية .

ب- أثر القرآن الكريم في معاني الادب العربي واغراضة : وهذا يتضح فيما يأتي :

١- هجر المعاني البدوية والحوشية والنابية ، واستعمال الادب للمعاني الاسلامية الجديدة .

٢- ترك المبالغة والفحش ، والتزام الصدق والإخلاص في معاني الادباء الاسلاميين .

٣- هجر الأدباء الاسلاميون الاغراض الجاهلية من المبالغة في المدح والفخر والهجاء ، والغزل الفاحش ، وشعر العصبيات والانتقام والأخذ بالثأر ، وأبطل سجع الكهان .

٤- أحيا القرآن الكريم فنونا ادبية جديدة ، مثل أدب القصة والتأريخ ، وأدب الزهد ، وأدب الحكمة ، إذ اتى القرآن الكريم بكثير من القصص المسوقة للعبرة والذكرى ، كقصص الانبياء وبعض الملوك ، وكان من أهم الاسباب التي حملت المسلمين على درس تأريخ العرب البائدة والأمم القديمة .

٥- وبسبب القرآن الكريم عكف العلماء والمفكرون على وضع أصول العلوم والثقافة الاسلامية ، فكثرت الكتابة في هذه العلوم والثقافات ، ولشدة حرص المسلمين على تفهم القران من حيث معرفة الفاظه والوقوف على معانيه المجازية وكناياته الدقيقة حملتهم بل فرضت عليهم تتبع ألفاظ اللغة العربية الفصيحة من العرب الموثوق بخلوص عربيتهم ، فكان من ذلك أن قام الرواة يجمعون اللغة وشعرها وأمثالها ووصاياها وخطبها ، فجمعوا من ذلك مئات الكتب والرسائل ، وتألفت من ذلك مادة الادب القديم .

٦- إن بعض الشعراء قد انكب على حفظ القرآن الكريم وتدبر اياته ، ماخوذا بفصاحته وأسلوبه حتى شغل عن مزاولة نظم، فقد روي أن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) سأل لبيد بن ربيعة عما احدثه من الشعر في الاسلام ، فقال لبيد : قد أبدلني الله بالشعر سورة البقرة وسورة ال عمران ، فزاد عمر في عطائه .

الخصائص الفنية للشعر الاسلامي

إن اهم ما يميز الشعر العربي في عصر صدر الاسلام هو أن شعراء هذا العصر دخلوا في الاسلام وتفاعلوا مع الظروف الواقعية الجديدة لمجتمعهم الاسلامي ، وأحدثوا تغيرات ملحوظة في المضامين الشعرية ، والأنماط البنائية التقليدية للقصيدة العربية الموروثة ، وبذا صارت للشعر الاسلامي خصائص وسمات يعرف بها ، لذا سنقف هنا لدراسة أبرز تلك الخصائص التي كان من ابرزها :

- البناء الفني للقصيدة العربية في عصر صدر الاسلام

يشكل بناء القصيدة الفني دعامة اساسية من دعائم العمل الشعري بفنيته ودقته ، ولعله يعكس لنا رؤية الشاعر وطريقة معالجته للقضية المطروحة امامه ، ومن المعروف ان نقادنا القدامى تحدثوا عن نظام القصيدة العربية القديمة ، حيث عرفت القصيدة عندهم ببناء محدد التزم به الشعراء الجاهليون ونظموا فيه جل اشعارهم (كالوقوف على الاطلال ، ووصف الناقة ، والغزل) وما الى ذلك من الامور الاخرى من اجل الدخول الى الموضوع الرئيس .

وفي العصرالاسلامي وتحديدا في عصر صدر الاسلام نجد ان هذا الوقوف قد غاب في بعض الاحيان عن القصيدة الاسلامية ، اذ اختفت مقدمات وصف الرحلة ، والناقة وقد اشارت

المستشرقة ريناتا ياكوبي الى قضية حذف الناقة في شعر صدر الاسلام ، اذ تقول : ((كان هناك ميل واضح لحذف موضوع الناقة عند حسان بن ثابت شاعر الرسول (عليه الصلاة والسلام) الاول مثلا ، اذ نجد ان قصائده المدحية خلت من وصف الناقة)) واختفاء المقدمة الطللية في عصر صدر الاسلام ينبع من امرين :

١- هو ان الشاعر الاسلامي في هذا العصر بدا يمر بإحداث سريعة ومتلاحمة فكان يتطلب منه الرد السريع في التصدي للشعراء المشركين والدفاع عن الاسلام والمسلمين .

٢- الانفعال النفسي المتصاعد للشاعر في هذا العصر ؛ لان هذا الانفعال لا يسمح له بالتأمل والتاني ليضع تمهيدا يفتتح به اثره الابداعي ، ولأنه وجد في الدخول لموضوعه مباشرة ارضاء لنزعته الانفعالية ، وهذا لا يعد عيبا لدى الشاعر الاسلامي ؛ لان من حق الشاعر اختيار الهيكل البنائي المناسب لاثره الفني الذي يستوعب تجربته الشعرية الذي هو في صدد الحديث عنها . بل ان الشاعر في عصر صدر الاسلام قد اعاب الوقوف على المقدمة الطللية ، فهذا كعب بن مالك يقول :

يا للرجال لامر هاجى له حزنا

لقد عجبت لمن يبكي على الدمن

ويقول حسان بن ثابت :

دَعْ عَنْكَ دارا قَدْ عفا رَسْمُها

وابكِ على حمزةَ ذي النائلِ

فقد تحول الشاعر من بكاء الاطلال الى بكاء الانسان ورثائه ، وهذا يشكل خروجا على البنية الشكلية للقصيدة ، ولكن هذا لا يعني اختفاء الطلل بشكل كلي في هذا العصر ؛ لان الشعراء الذين عاشوا في هذا العصرهم شعراء مخضرمون ساروا على اسلوب القصيدة الجاهلية ، وناخذ -على سبيل المثال لا الحصر- الشاعر المخضرم حسان بن ثابت ، إذ إن له الكثير من القصائد ذات المقدمات الطللية ، لكن الذي يهمنا منها تلك التي كتبها في عصر صدر الاسلام . اذ كان يتخلص منها من خلال لفظة (فدع هذا) من اجل الاتيان الى الرسول (عليه الصلاة والسلام) .

تحليل قصيدة حسان بن ثابت (كان الفتح وانكشف الغطاء

- يقول حسان بن ثابت (رضي الله عنه) في هذه القصيدة :

عَفَتْ ذَاتُ الاصابعِ فَالجِوَاءُ

الى عَذْراءَ مَنْزِلُها خَلاءُ

دِيَارٌ مِنْ بَنِي الْحَسْحَاسِ قَفْرٌ

تُعَفّيهَا الرَّوَامِسُ والسَّمَاءُ

وَكَانَتْ لا يَزَالُ بِهَا انِيسٌ

خِلالَ مُرُوجِهَا نَعَمٌ وَشَاء

فَدَع هذا ولكن مَنْ لِطَيْفٍ

يُؤَرِّقُنِي اذا ذهبَ العِشَاءُ

لِشَعْثاءَ التي قد تَيَّمَتْهُ

فَلَيْسَ لِقَلبِهِ منها شِفَاء

كَانَّ سَبِيئَةً مِنْ بَيْتِ راسٍ

يَكُونُ مِزَاجُهَا عَسَلٌ وَمَاءُ

وَنَشْربُهَا فَتَتْرُكُنَا مُلُوكاً

وَاُسْداً ما يُنَهْنِهُنَا اللِّقاءُ

عَدِمْنَا خَيْلَنَا ان لَمْ تَرَوْهَا

تُثِيرُ النَّقعَ مَوْعِدُهَا كَدَاءُ

يُبَارِينَ الاعِنَّةَ مُصْعِدَاتٍ

على اكتافِهَا الاسَلُ الظّمَاءُ

تَظَلُّ جِيَادُنَا مُتَمَطِّرَاتٍ

تُلَطّمُهُنَّ بِالخُمُرِ النِّسَاءُ

فإما تُعْرِضُوا عَنَّا اعْتَمَرْنَا

وَكانَ الفتَحُ وانْكَشَفَ الغِطَاءُ

وإلا فاصبِرُوا لِجِلَادِ يَوْمٍ

يُعِزُّ اللهُ فيه مَنْ يَشَاءُ

ألا ابلِغْ ابا سُفْيَانَ عَنِّي

فأنت مُجَوَّفٌ نَخِبٌ هَوَاءُ

بِأنَّا سُيُوفَنَا تَرَكَتكَ عَبْداً

وَعَبْدَ الدَّارِ سَادَتُهَا الاماءُ

هجوت محمدا فأجبت عنه

وعند الله في ذاك الجزاء

اتَهْجُوُه وَلَسْتَ لَهُ بِكُفْءٍ

فَشَرُّكُما لِخَيْرِكُمَا الفِدَاءُ

هَجَوتَ مُبَارَكاً بَرًّا حَنِيفاً

امِينَ اللهِ شِيمَتُهُ الوَفَاءُ

فَمَنْ يَهْجُوا رَسُولَ اللهِ مِنْكُمْ

وَيَمْدَحُهُ وَيَنْصُرُهُ سَوَاءُ

فَانَّ ابي وَوَالدَه وَعِرْضِي

لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وِقَاءُ

- معاني المفردات-

عفت : درست اختفت .

الاصابع فالجواء : اسمان لمكانين في الشام .

عذراء : موقع قرية في دمشق .

خلاء : خالية من السكان .

بني الحسحاس : قوم من العرب اشتهروا بالجود .

قفر : ارض خالية من الناس والنبات والماء .

الروامس : الرياح .

السماء : المطر .

مروجها: ارض واسعة ذات كلا تمرح فيها الدواب وترعى

نعم وشاء : الابل .

فدع هذا : اترك ذلك البكاء وذكر الاطلال .

لطيف : الخيال .

يؤرقني : يسهرني .

العشاء : اول الليل وأول الظلام .

لشعثاء : اسم امرأة وقيل حبيبته .

سبيئة : الخمر ؛ لأنها تسبي العقول .

بيت راس : مكان يصنع فيه الخمر وهو موضع مشهور في الاردن ، اذ يصنع فيه الخمرة الجيدة .

ينهنهنا : اي لا يفزعنا لقاء العدو .

عدمنا خيلنا : اهلكت خيلنا .

النقع : غبار الحرب .

كداء : موضع قريب من مكة .

يبارين الاعنة : الحبال .

مصعدات : صاعدات .

الاسل : الرماح .

الظماء : العطش .

متمطرات : مسرعات .

تلطمهن بالخمر : يضربن بالحجاب .

اعتمرنا : ادينا العمرة وهي طاعة الله عز وجل .

انكشف الغطاء : فتح مكة .

جلاد : اي التضارب بالسيوف .

ابو سفيان : هو ابو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم ، ابن عم سيدنا رسول الله (عليه الصلاة والسلام)واخوه من الرضاعة والذي عادى الرسول (عليه الصلاة والسلام) بشعره .

عبدا : ذليلا .

عبد الدار : قبيلة ابا سفيان .

الجزاء : الحساب .

الكفء : المثيل او النظير .

فشركما : ابو سفيان .
برا : الذي يبني الخير .
حنيفا : الذي لا يعبد الاصنام .

عرض : النفس .

تحليل القصيدة الشعرية

أولا- غرض القصيدة : هذه القصيدة قالها حسان عندما تنبا بفتح مكة ، اذ يذكر ذلك اليوم واصفا له ، مادحا الرسول (عليه الصلاة والسلام) هاجيا ابا سفيان .

ثانيا – القصيدة من بحر الوافر : وهذا البحر من البحور الشائعة في الشعر العربي القديم .

ثالثا – القيم الفنية في قصيدة حسان بن ثابت

١- الافتتاح الطللي

من الواضح ان حسان بن ثابت سار على نهج القدماء في بنائه للقصيدة ، من حيث الاستهلال بالإطلال ، اذ صور لنا الشاعر حال هذه الديار التي طمست الرياح والأمطار معالمها بعد ان كانت لا تخلو من وجود الناس ووجود الابل ، والشاعر لم يصرح بذلك على وجه الحقيقة ، فقد اشار الى ذلك مجازا من خلال لفظة السماء ، وذلك للعلاقة السببية ما بين السماء والمطر فالسماء كانت سببا في نزول المطر ، والمطر كان سببا في اندثار الديار والآثار ، لكن الملاحظ ان الشاعر اكتفى من تلك المقدمة الطللية بثلاثة ابيات ، ثم تراه يفاجئك بقوله (فدع هذا) لينقل انتباهنا الى وصف ايامه مع شعثاء ، وكأننا نحس ان القصيدة تقول : ان هذا ليس بيت القصيد ، بل ان هناك شيء اهم ، ولولا ان يقال ان حسان ترك تقاليد الشعر ما نظنه سيقف عند هذه المقدمة او سواها . وهذا يتضح في (البيت الاول ، والبيت الثاني ، والبيت الثالث) وبعد هذه الابيات نجد الشاعر تخلص من المقدمة الطللية .

٢- ذكر الخمر

فقد شبه الشاعر طعم رضاب شعثاء بطعم الخمرة ممزوجة بعسل وماء والجامع بينهما حلاوة المذاق ،وهذه الخمرة مجلوبة من بيت راس وهو موضع مشهور بالأردن يصنع الخمرة الجيدة ، ثم يقول عندما نشرب الخمر فأننا نكون كالملوك والأسود في ساحات المعارك لا نخاف

والانهزام وهذا تشبيه بليغ ، وهذا الامر يتضح في (البيت السادس ، والبيت السابع ، والبيت الثامن) .

٣- توعد المشركين بالحرب والانتصار عليهم

الشاعر في هذه الابيات يدعو على الخيل بالهلاك اذا لم تهاجم قريش وتثير الغبار حتى تصل الى كداء (طريق قريب من مكة) وتدخل مكة فاتحين ، وقد رسم الشاعر في القصيدة حية للخيل المسرعة المتهابة للقتال التي تجاذب فرسانها اعنتها ، اي انها سريعة الانقياد فتخرج اليها نساء المشركين تحاول كل منها ردها بخمارها وفي هذا دلالة على هزيمة المشركين وهروبهم من المعركة ، ومن الظواهر الشعرية الكنائية الاخرى قوله (اثارة النقع ، وتلطمهن بالخمر ، وانكشف الغطاء كناية عن فتح مكة) .

٤- الدفاع عن الرسول (عليه الصلاة والسلام) وهجاء ابا سفيان

في هذه الابيات يدافع حسان عن النبي (عليه الصلاة والسلام) ويهجو ابا سفيان ، اذ ان ابا سفيان في نظر الشاعر رجل جبان لا قلب له كانه خالي الجوف ، اي انه نزع فؤاده من جوفه

وفي ذلك اشارة الى قوله تعالى : ((مهطعين مقنعي رؤوسهم لا يرتد اليهم طرفهم وأفئدتهم هواء)) .

والمهجو في صورة الشاعر ذليلا مهانا محتقرا ، بل ان حسان لم يكتف بذلك ، اذ انه قد هجا عبد الدار بالجبن والضعف وفقدان المروءة ، وقد قضى عليها حسان حين جعل من الاماء رؤسائهم وهي صور كنائية وظفها الشاعر في هجائه . وهذه سخرية ما بعدها سخرية ، ثم يقول حسان : ان هجاؤك للرسول (عليه الصلاة والسلام) لاجدوى فيه ، فانك تعلم انه مبارك حنيف امين الله شيمته الوفاء ، وما دام الامر كذلك فمدحكم ونصركم وهجاءكم له سواء فهو في غنى عنه ؛ لان ذلك لا يضره ولا ينفعه ، بل لقد جعل حسان عرضه وعرض اسلافه فداء لعرض الرسول (عليه الصلاة والسلام) .

والعرض عند العرب هو موضع المدح والذم عند الانسان ، ولا يخفى ما في ذلك من اشارة الى المعنى البعيد الذي يومي اليه الشاعر وهو حبه للرسول (عليه الصلاة والسلام) وهذا جاء عن طريق الكناية عن الصفة .

وهذا الكلام يتضح في(البيت الثالث عشر ، والبيت الرابع عشر ، والبيت الخامس عشر ، والبيت السادس عشر ، والبيت السابع عشر ، والبيت الثامن عشر ، والبيت التاسع عشر)

والذي يلحظ في هذه القصيدة ان اثر القران الكريم كان واضحا فيها من حيث وجود الفاظ قرآنية مثل (الجزاء ، والبر ، وحنيفا ، والنصر ، ورسول الله ، امين الله) وهذا يكشف عن مبلغ تفاعل الشاعر مع بلاغة القران الكريم ، اذ تعد الالفاظ السالفة الذكر الفاظ اسلامية خالصة ادخلت شعره في طور دلالي وإبداعي جديد يتجاوز الطور الجاهلي ، وبذلك شكل انعطافا مهما في مسيرة الشعر العربي بعد البعثة النبوية الشريفة .

- اللغة والأسلوب -

- **اللغة** : اللغة هي الاداة التي يتواصل بها الشاعر مع الاخرين عن طريق الالفاظ والمعاني ، لذا سنقف عند هذه الالفاظ والمعاني في عصر صدر الإسلام .

أ- الالفاظ : لقد اكتسب الشعر الاسلامي رقة في التعبير بعد أن دخل الايمان قلوب الشعراء ، وتظهر تلك الرقة في سهولة الالفاظ ووضوحها ، وتهذيب اللغة ، والبعد بها عن الوحشية والغرابة يقول د. شوقي ضيف ((إن الإسلام هذب اللغة من الحوشية ، ومن اللفظ الغريب فأقامها على هذا الاسلوب المعجز من البيان والبلاغة)) ، وقد حفل الشعر الاسلامي بطائفة كبيرة من الالفاظ والمصطلحات الإسلامية التي اكتسبت معان جديدة غير التي كانت سائدة في كلام العرب من قبل مثل الايمان ، والكفر ، والوحي ، والقران ، والنبوة ، والرسالة ، والجنة ، والنار ، والتقوى ، والجهاد ، والقيامة ، والشهيد ، والمسجد ، والصلاة ، والزكاة ، والجزية ، والحلال ، والحرام ...الخ

ولو تصفحنا دواوين شعراء صدر الاسلام لوجدنا أشعارهم طافحة بتلك الالفاظ والمصطلحات ، ومن ذلك لفظة (الكفر) في قول كعب بن مالك :

يذودوننا عن ديننا و نذودهم عن الكفر و الرحمن راء و سامع

ويتردد اسم (القران) في قول حسان :

جحدوا القران وكذبوا بمحمد والله يظهر دين كل رسول

وورد اسم (الرسول) عند حسان بن ثابت فيقول :

رسول نصدق ما جاءه من الوحي كان سراجا منيرا

وورد مصطلح (النبي) في شعر عبد الله بن رواحة :

أنت النبي ومن يحرم شفاعته يوم الحساب فقد أزرى به القدر

ويتحدث حسان عن الحلال والحرام فيقول :

فنكون أول مستحل حلاله ومحرمِ لله كل حرام

أذن فتميز الشعر الإسلامي بالسهولة والوضوح واللين دليل على تأثر هذا الشعر بالفكر الإسلامي الجديد لكن هذا لا يعني خلو الشعر الاسلامي من الالفاظ الغريبة والصعبة كما يتضح في لفظة (القفعاء) في قول كعب زهير :

بيضٌ سَوابِغُ قَد شُكَّت لَها حَلَقٌ كَأَنَّها حَلَقُ القَفعاءِ مَجدولُ

القفعاء : شجرة تنبت في الصحراء فيها حلق كحلق الخواتم إلا انها لا تلتقي اطرافها .

والشيء الاخر الذي يلفت الانتباه هو أن الشاعر الإسلامي كان يجد ملائمة بين الالفاظ والمعاني ، فالألفاظ كما تحدث عنها ابن الأثير ((تقسم في الاستعمال إلى جزلة ورقيقة ، ولكل منها موضع يحسن استعماله فيه ، فالجزلة تستعمل في مواقف الحرب وقوارع التهديد والخوف ، أما الرقيق منها يستعمل في وصف الاشواق وذكر أيام الصبا واستجلاب المودات))

فمثلا ان غرض المديح تكون الفاظه قوية معبرة ، وهذا يتضح في قول العباس بن مرداس بقوله :

ووجهت وجهي نحو مكة قاصدا وتابعت بين الاخشبين المباركا

الذي يلحظ ان الفاظ هذا البيت جاءت سهلة ومناسبة مع الغرض الذي وضعت لأجله .

اما في الاعتذاريات تبدو الالفاظ أكثر رقة واستعطافا ولينا من الاغراض الشعرية الاخرى ، وهذا يتضح في شعر أنس بن زنيم الذي أهدر الرسول (عليه الصلاة والسلام) دمه، فجاء اليه معتذرا تائبا معلنا إسلامه في قصيدة اعتذارية يقول فيها :

أَأَنْتَ الَّذِي تُهْدَى مَعَدٌّ بِأَمْرِهِ بَلْ اللَّهُ يَهْدِيهِمْ وَقَالَ لَكَ اشْهَدِ

وَمَا حَمَلَتْ مِنْ نَاقَةٍ فَوْقَ رَحْلِهَا أَبَرَّ وَأَوْفَى ذِمَّةً مِنْ مُحَمَّدِ

إذ جاءت الفاظ الشاعر أنس فصيحة سليمة ، فيها أرجع الهداية إلى الله ، وهذا دليل على ضعفه وانكساره أمام الرسول (عليه الصلاة والسلام) .

يتضح من خلال ما تقدم ان الالفاظ في عصر صدر الاسلام ترددت بين السهولة والجزلة القوية ،وقد أحسن شعراء صدر الإسلام في ملائمتهم الالفاظ والمعاني مع الاغراض الشعرية في هذا العصر .

ب-المعاني : وبرزت في عصر صدر الإسلام معان جديدة أوجدها الإسلام لكي تناسب ما طرآ على الحياة العربية من تطور وتغيير في حياة الافراد ، وفي حياة الجماعة ، وتظهر تلك المعاني في صور مختلفة لدى الشعراء ، فبعض المعاني المتداولة بين الناس لم تعد لها تلك المعاني المعروفة بينهم ، بل أصبحت تعني أشياء جديدة ، أخذها الشعراء عن الإسلام ، فأصبح السعيد ليس هو الغني ، ولا السعادة هي المال ، بل السعيد هو التقي ، وتقوى الله خير ما يملكه الإنسان ويدخره يقول الحطيأة :

وَلَستُ أَرى السَعادَةَ جَمعَ مالٍ وَلَكِنَّ التَقيَّ هُوَ السَعيدُ

وَتَقوى اللَهِ خَيرُ الزادِ ذُخراً وَعِندَ اللَهِ لِلأَتقى مَزيدُ

وثمة معان جديدة لم تعرف من قبل ، ظهرت في الشعر الإسلامي ، كالتوكل على الله ، والإنابة اليه ، والتوجه نحوه في السراء والضراء ، إذ يجد المؤمنون في ذلك الراحة النفسية والطمأنينة القلبية اللتين يفتقدهما غير المؤمنين بالله ، وفضلا على ذلك فقد تحدث الشعراء عن معنى التوحيد ، ويتجلى هذا المعنى في غمرة صراعهم مع المشركين الذين لم يكونوا يؤمنون بعقيدة التوحيد ، وهو معنى لم يعالجه الشعراء من قبل ، مع وجود بعض الموحدين من الاحناف قبل الإسلام ، إلا أن ذلك لم يكن عقيدة شائعة يرددها الشعراء ، في حين انها اصبحت العقيدة الرئيسة التي يقوم عليها الدين الإسلامي الجديد .

يقول حسان بن ثابت :

ونَعلمُ أنَّ اللهَ لا رَبَّ غَيرهُ وأنَّ كتابَ اللَّهِ أصبحَ هَادِيا

ويقول ايضا :

تَعَالَيْتَ رَبَّ الناسِ عن قَوْل مَن دَعا سِوَاكَ إلهاً، أنْتَ أعْلَى وَأمْجَدُ

ويشيع معنى التوبة في شعر صدر الإسلام ، وهذا المعنى ورد عند الشاعر كعب بن زهير حين جاء إلى النبي (عليه الصلاة والسلام) تائبا ، ومعتذرا له ، ومعلنا إسلامه أمامه ، فقال :

فَقُلتُ خَلّوا سبيلي لا أَبا لَكُمُ فَكُلُّ ما قَدَّرَ الرَحمَنُ مَفعولُ

كُلُ اِبنِ أُنثى وَإِن طالَت سَلامَتُهُ يَوماً عَلى آلَةٍ حَدباءَ مَحمولُ

أُنبِئتُ أَنَّ رَسولَ اللَهِ أَوعَدَني وَالعَفُوُ عِندَ رَسولِ اللَهِ مَأمولُ

مَهلاً هَداكَ الَّذي أَعطاكَ نافِلَةَ ال قُرآنِ فيها مَواعيظٌ وَتَفصيلُ

لا تَأَخُذَنّي بِأَقوالِ الوُشاةِ وَلَم أُذنِب وَلَو كَثُرَت عَنّي الأَقاويلُ

ومن الأفكار الجديدة ايضا فكرة (إن الملك والحكم لله وحده ، لا راد لأمره ، ولاتبديل لقضائه ،) ، وهذه الفكرة نطق بها شعراء صدر الإسلام ، وهذا يتضح في قول حسان بن ثابت :

ونعلم أن الملك للهِ وحده وأن قضاءَ اللهِ واقعٌ

ومن الأفكار الجديدة ايضا فكرة (البعث ، والنشور ، والحساب ، والجزاء) وقد تطرق شعراء العصر الإسلامي إلى هذه الأفكار ، فهذا النابغة الشيباني يقول :

ألا أيّها الإنسانُ هل أنت عاملُ فأنك بعد الموت لابد ناشرُ

ويشير بجير بن زهير عن يوم القيامة والحساب ، فيقول :

إلى الله لا العزى ولا اللات وحده فتنجو إذا كان النجاة وتسلم

يتضح من خلال ما تقدم من أن شيوع المعاني والأفكار الإسلامية في الشعر الإسلامي أكسبت معانيه السلاسة والوضوح ، إذ إن الشعراء المسلمين انصرفوا عن استعمال الألفاظ الحوشية والغريبة بسبب تأثرهم بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ، فأصابوا في اختيار الألفاظ ، ووفقوا في ترتيب المعاني والأفكار .

-الأسلوب-

عرف العرب مصطلح الاسلوب وهو من سطر النخيل ، لان كل طريق ممتد أسلوب ، وقالوا : ان الاسلوب هو الطريق والوجه والمذهب ، والجمع (اساليب) وهو الفن .

ويعرف د. أحمد بدوي الاسلوب بأنه ((الطريقة الخاصة التي يصوغ فيها الكاتب افكاره ويبين بها عما يجول في نفسه من العواطف والانفعالات))

لقد استعمل الشعراء في عصر صدر الإسلام اساليب متنوعة في نصوصهم الشعرية منها :

١- أسلوب القسم : القسم أسلوب يراد به تأكيد المعنى باستعمال ألفاظ دالة على القسم أو اليمين ، ومنها لفظ الجلالة (والله ، تالله) كما جاء على لسان أبي طالب :

والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتى أوسد في التراب دفينا

يقسم أبو طالب عن طريق استعمال لفظ الجلالة (الله) عدم مقدرة الكفار وأعداء الرسول (عليه الصلاة والسلام) بالوصل إليه ، ما دام على قيد الحياة ، ويستعمل الواو أداة القسم ويتبعها بجملة النفي (لن يصلوا إليك) حتى يزيل أي شك في ذهن السامع حول مقدرتهم على الوصول إلى الرسول (عليه الصلاة والسلام) .

وحسان بن ثابت إذ يمتدح الرسول (عليه الصلاة والسلام) يستعمل لفظ الجلالة (تالله) فيقول :

تالله ما حملت أنثى ولا وضعت مثل الرسولِ نبي الأمة الهادي

يعبر الشاعر باستعمال القسم في البيت السابق عن عاطفة صادقة قوية تجاه ممدوحه الرسول (عليه الصلاة والسلام) ، وكان استعمال الطباق (حملت ، وضعت) مع القسم عاملا مساعدا على تحقيق الغرض وهو مدح الرسول (عليه الصلاة والسلام) وإظهار صفاته نبي الأمة الهادي .

٢- أسلوب النداء : النداء هو الأسلوب الذي يطلب فيه انتباه المخاطب والتفاته عن طريق اسمه أو صفاته بعد حرف من أحرف النداء ، وقد وظف الشعراء في صدر الإسلام النداء في نصوصهم الشعرية ، ويتضح هذا في رثاء صفية بنت المطلب للرسول (عليه الصلاة والسلام) بقولها :

ألا يا رسول كنت رجاءنا وكنت بنا برا ولم تكن جافيا

وكنت بنا رؤوفا رحيما بيننا لبيك عليك اليوم من كان باكيا

أدى أسلوب النداء وظيفة نفسية كانت بمنزلة حزن وألم على غياب الرسول (عليه الصلاة والسلام) ، قد كان الغرض واضحا من النداء وهو التحسر على الفقيد وذكر صفاته وتعدادها .

٣- أسلوب الأمر : الأمر هو طلب الفعل على جهة الاستعلاء ، وورد كثير من صيغ الأمر في شعر صدر الإسلام ، فمثلا جاء الأمر (قوموا) في بيت حسان بن ثابت :

شهدتُ به فقوموا صدقوه فقلتم لا نقومُ ولا نشاءُ

يحمل معنى الحقيقة ،أراد بذلك تأكيد صدق بعثة الرسول (عليه الصلاة والسلام) ، وأنه الصادق المرسل من رب العالمين ، وهو يدعو قومه لأن يصدقوا دعوته ويؤمنوا بها ، لكن ردهم جاء بالشطر الثاني بالرفض مطلقا .

ويتضح هذا ألاسلوب ايضا عند الشاعر عبدالله بن الزبعرى ، وهو ينشد امام الرسول (عليه الصلاة والسلام) قوله :

فأغفر فدى لك والدي كلاهما زُللي فأنك راحمٌ مرحومُ

٤- أسلوب النهي : هو خلاف الأمر تحديدا ، ويقصد به طلب الكف عن الفعل تحريما أو كراهة على وجه الاستعلاء . وقد جاء على لسان أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) عندما كان مع الرسول (عليه الصلاة والسلام) في الغار قوله :

قال النبيُّ ولم أجزع يُوقرني ونحن في سُدفةٍ من ظلمة الغار

لا تخش شيئا فإن اللهَ ثالثنا وقد توكلنا منه بإظهار

وكذلك كان للاعتذاريات نصيب في استعمال النهي وتوظيفه من خلال قول كعب بن زهير :

لا تَأْخُذَنِّي بِأَقْوالِ الوُشاة ولَمْ أُذْنِبْ وقَدْ كَثُرَتْ فِيَّ الأقاويلُ

هذا النهي في قول كعب (لا تأخذني) أفاد الطلب به ، إذ يطلب كعب بن زهير من الرسول (عليه الصلاة والسلام) بعدم لومه وعقابه ، وقد وشى الوشاة به من قبل للرسول (عليه الصلاة والسلام) ، ويبدو كعب مدافعا عن نفسه في الشطر الثاني ومستعطفا الرسول (عليه الصلاة والسلام) بالعفو عنه .

٥- أسلوب الاستفهام : ويراد به طلب العلم عن شيء لم يكن معلوما من قبل ، وأدواته منها الهمزة وهل ، وهناك أسماء الاستفهام منها (من ، أين ، كيف ، متى ...) ، وقد ورد الاستفهام في أغراض الشعر في صدر الإسلام عند شعراء مثل حسان بن ثابت في قوله :

وهلْ يَستوي ضُلاّلُ قوْمٍ تَسَفّهوا عمىً، وهداةٌ يهتدون بمهتدِ؟

يستفهم حسان بأداة الاستفهام (هل) التي تفيد الإنكار ، إذ لا يعقل أن يكون من هم في ضلالة وغي من أمرهم بمنزلة من اهتدى وسار على درب الرسول الاكرم (عليه الصلاة والسلام) المهتدي ، وساعده على تحقيق غرض الاستفهام الحالة في الشطر الثاني المقابلة لحالة من هم في ضلال في شطر البيت الأول .

ونرى حسان بن ثابت يستعمل الاستفهام بالهمزة وذلك في قوله :

أَتَهْجُوهُ، وَلَسْتَ لَهُ بكُفْءٍ، فَشَرُّكُما لِخَيْرِكُمَا الفِداءُ

لقد خرج الاستفهام عن معناه الحقيقي إلى معنى آخر يفيد التحقير ، وهذا ما أراده حسان بن ثابت عند هجاء أبي سفيان للرسول (عليه الصلاة والسلام) أن يضعه في المكانة التي يستحقها ، فأين هو من رسول (عليه الصلاة والسلام) ؟ وساعده اختياره لمفردة (كفء) ، إذ وضحت المعنى البلاغي الذي أراده .

٦- أسلوب التكرار : التكرار ظاهرة واضحة في شعر صدر الإسلام استعان بها الشاعر على نقل مشاعره والتعبير عن أرائه فضلا عن ذلك فأن التكرار قد اضفى على الشعر جمالا بما يضفيه على الموسيقى من جرس جذاب يحرك مشاعر القارىء والسامع ، لانه يسهم في تحقيق جمالية الالفاظ وتوضيح معانيها ، ومنه تكرار الشاعر عبدالله بن رواحة في قوله :

خلوا بني الكفار عن سبيله خلوا فكل الخير في رسوله

جاء التكرار من خلال فعل الأمر (خلوا) وعبد الله بن رواحة آخذ بزمام ناقة الرسول (عليه الصلاة والسلام) ، ويوبخ الكفار والمشركين ، ويأمرهم بالابتعاد عن طريق الرسول (عليه الصلاة والسلام) ، وقد أفاد معنى التكرار التوبيخ لهم .

وكان لتكرار الحرف (أنَّ) عند كعب بن مالك ، وقع خاص على النفس في قوله :

شهدتُ بأنّ الله لا ربَّ غيرهُ وأنَّ رسولَ اللهِ بالحق ظاهر

كرر الشاعر حرف التوكيد (أنَّ) مرتين ليؤكد على حقيقة التفرد بالعبودية لله سبحانه وتعالى وأنّ الرسول (عليه الصلاة والسلام) جاء بالحق المنتصر ، وكان التكرار عاكسا لشخصية هذا الشاعر المؤمن بالله والمصدق لرسوله (عليه الصلاة والسلام) ، فكعب لايفخر بنفسه ولا قبيلته إنما بنبيه الكريم ودينه القويم .

٧- أسلوب التناص : يعرف التناص بأنه تشكيل نص جديد من نصوص سابقة ، وأكثر شعراء صدر الإسلام من التناص القرآني في أشعارهم ، لان الالفاظ الإسلامية ومعانيها قد سادت في تلك المدة من عصر صدر الإسلام .

وقد يأتي التناص كليا ، كما في الأيات القرانية ، ومثل هذا التناص يظهر في شعر حسان بن ثابت الذي يقول :

صَلّى الإلهُ وَمَنْ يَحُفُّ بِعَرْشِهِ والطيبونَ على المباركِ أحمدِ

وهذا تناص لقوله تعالى : ((إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا)) الأحزاب : ٥٦ .

وقد يأتي التناص جزئيا ، كقول حسان بن ثابت في مدح الرسول (عليه الصلاة والسلام) :

لَكَ الخَلقُ وَالنَعماءُ وَالأَمرُ كُلُّهُ فَإِيّاكَ نَستَهدي وَإِيّاكَ نَعبُدُ

وظف الشاعر مفردات من سورة الفاتحة ((إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)) الفاتحة : ٥ .

وقد يأتي التناص مع لفظة قرآنية ، كما يتضح ذلك في شعر كعب بن مالك الذي يقول :

و كان رسول الله قد قال أقبلوا فولوا و قالوا إنما أنت ساحر

إذ اقتبس الشاعر في شطر البيت تركيب (إنما انت ساحر) من قوله تعالى : ((وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَٰذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ)) ص : ٤ .

-الصور والأخيلة-

نجد في الشعر الإسلامي صورا مختلفة استمدها الشعراء من عالمهم ، ومن بيئتهم ، ومن الصحراء المحيطة بهم ، فأخذوا عن(النور، والضياء ، والقمر والنجوم ،والبحر ، والحيوان ، والطيور ، والنبات ، والجبال ، والسهول) ؛ لما لهذه الأشياء في حياة العرب من مكانة وأهمية ، ويمكننا أن نتبين صور هذه الكائنات بوساطة التشبيهات والاستعارات التي حفلت بها أشعارهم .

فالرسول هو الضياء والنور عند حسان بن ثابت ، إذ يقول :

كان الضّياءَ وكان النّورَ نتبعُهُ وكان بعد الإلهِ السمعَ والبصرَ

والقرآن نور في شعر حسان ايضا :

يتلو علينا النورَ فيها مُحكما قسما لعمرك ليس كالأقسام

وكان هؤلاء الشعراء كثيرا ما يلجؤون إلى القرآن يستمدون منه أخيلتهم وتشبيهاتهم ، فالشعراء حينما يريدون توكيد صفات الرسول (عليه الصلاة والسلام) في أشعارهم فأنهم يقتبسون من صور القرآن الفنية ، فهذا حسان بن ثابت يمدح الرسول الاكرم (عليه الصلاة والسلام) بالسراج المنير في قوله

فَأَمسَى سِرَاجاً مُستَنيراً وَهَادياً يَلوُحُ كما لَاحَ الصَّقيلُ المُهنَّدُ

وهو قد استعار تلك الصورة من قوله تعالى : ((يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا)) الاحزاب : ٤٥-٤٦.

وشبه حسان بن ثابت شعره بالبحر الصافي الغزير الماء النقي بقوله:

لساني صارمٌ لا عيبَ فيهِ وَبَحْرِي لا تُكَدِّرُهُ الّدلاءُ

ووصف الشاعر كعب بن زهير المهاجرين بالجمال البيض في قصيدتة البردة ، إذ يقول :

يَمشون مَشيَ الجِمالِ الزُهرِ يَعصِمُهُم ضَربٌ إِذا عَرَّدَ السودُ التَنابيلُ

وقد شبهوا الفيلة التي استعملها الفرس في معركة القادسية بالجبال ، فهذا القعقاع بن عمرو التميمي يقول :

فُيُولاً أَراها كالجبال أَمامنا تُشَيِّبُ منّا في الحروب النَّواصيا

-الايقاع-

تألفت القصيدة الجاهلية من وحدات موسيقية متساوية في الأبيات وهي التي عرفت فيما بعد ببحور الشعر مثل (البحر الطويل ، والبحر الكامل ، والبحر البسيط ، والبحر الوافر...الخ) ، وصارت علما معروفا وضع اساسه شعراء الجاهلية ، وتعرف عليه الشعراء في الإسلام ، وابتكر الجاهليون ايضا القافية الموحدة في نهاية الأبيات ، إذ ينتهي كل بيت بنهاية واحدة في حرف أو حرفين يعرف بحرف الروي وقد قلدهم شعراء الإسلام في ذلك وقد وقع بعض الخلل فيها ، لان علم العروض لم يشتهر يعد ، ولهذا تكثر الزحافات ويكثر الايطاء واختلاف حركة الروي عن الأصل الذي يجب ان تكون عليه كأن يحرك الساكن ، ويضم المجرور ، ويفتح المكسور وغير ذلك . ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر نجد الايطاء حاضرا في شعر عبدالله بن رواحة ، إذ وردت بعض الالفاظ والقوافي مرتين أو أكثر بلفظها ومعناها ولكن من دون فاصل بينها كما في قوله :

إني تفرَّستُ فيك الخير أعرفه فِراسة خالَفتهم في الذي نظروا
ولو سألت أو استنصرت بعضهم في حلِّ أمرك ما ردُّوا ولا نصروا
فثَّبت الله ما آتاك من حَسنٍ تثبيت موسى ونصرا كالذي نُصِرُوا

وكانت أكثر الاوزان استعمالا منها الطويل ثم البسيط والكامل ، واستعملوا الايقاع العالي والقوافي التي تنتهي بأصوات شديدة نحو الهمزة ، والدال ، والباء ، والتاء وقلدهم الإسلاميون في هذا الايقاع والروي .

ومن ذلك قول حسان بن ثابت في التضرع إلى الله عزوجل :

وَأَنتَ الهَ الخَلقِ رَبِّي وَخَالِقِي بِذَلكَ ما عَمَّرتُ في النَّاسِ أَشهَدُ
تعَاليتَ رَبَّ النَّاسِ عَن قَولِ مِن دَعَا سِوَاكَ الهاً أنتَ أَعلَى وَأَمجَدُ
لَكَ الخَلقُ والنَّعماءُ والامرُ كُلُّهُ فَايَّأكَ نَستَهدِي وَايَّاكَ نَعبَدُ

إن الشاعر في هذه الابيات يلتزم البحر الطويل ، إذ إنه يستوعب المعاني الغزيرة والعاطفة الهادئة ، ويعبر عن صور الخشوع والايمان الصادق .

وكذلك أنشد عبد الله بن رواحة من البحر الطويل :

وَفِينَا رَسُولُ اللَّهِ يَتْلُو كِتَابَهُ إِذَا انْشَقَّ مَعْرُوفٌ مِنَ الفَجْرِ سَاطِعُ
أَرَانَا الهُدَى بَعْدَ العَمَى فَقُلُوبُنَا بِهِ مُوقِنَاتٌ أَنَّ مَا قَالَ وَاقِعُ
يَبِيتُ يُجَافِي جَنْبَهُ عَنْ فِرَاشِهِ إِذَا اسْتَثْقَلَتْ بِالْمُشْرِكِينَ المَضَاجِعُ "

إذ يذكر الشاعر في هذه الأبيات الرسول (عليه الصلاة والسلام) وفضله ، وتقواه ، وعبادته ، وورعه ، وعن فضل هذا الدين الجديد عليهم ، إذ أراهم الهدى بعد العمى والضلال وأخرجهم إلى النور والحق ، ويذكر الحشر بعد الموت ويشير إلى إيمانه بهذا إيمانا لا يخالطه الشك والتردد .

إن البنية الايقاعية وما توفره من عناصر نغمية ، كانت السبب فيما تخلقه القصيدة في متلقيها من طرب وشجن ، لذا عمد بعض شعراء صدر الإسلام إلى استعمال القوافي المطلقة أكثر من المقيدة نظرا لأنها أوضح في السمع وأشد اسرا للأذن ، وكذلك اتبع حركة الروي بألف الإطلاق بغية الحصول على جمال موسيقي أكبر عبر مد الصوت كما في قول عبدالله بن رواحة :

تـاللهِ لـوْلاَ اللهُ مـا اهْتَـدَيْنـا ولا تَـصَـدَّقْـنـا ولا صَـلـيْـنـا
الـكـافـرونَ قَـدْ بَغَـوْا عَـلَيْـنـا إذا أرادُوا فِتْنَـةً أبَـيْـنـا
إنَّـا إذا صِـيْـحَ بـنـا أتَـيْـنـا وبـالـصِّـيـاحِ عَوَّلُوْا عَـلـيْـنـا
فـاغْفِرْ فِـدَاءٌ لـكَ مـا اقْتَضَيْنَا وثَـبِّـتِ الأَقْـدَامَ إنْ لاقَـيْـنَـا
وأنْـزِلَـنْ سَـكِـيْـنَـةً علينا ونحنُ عنْ فضلِكَ مـا اسْتَغْنَيْنا

والحقيقة ان موسيقى القصيدة لا تقف عند حد البحر العروضي ، بل تتعدى ذلك إلى الايقاع الخاص للكلمات نفسها أو ما يطلق عليها بالموسيقى الداخلية .

ومن أبرز ظواهر الموسيقى الداخلية عند شعراء صدر الإسلام :

١- الجناس : هو تشابه كلمتين في لفظهما مع اختلاف معانيهما ، وهذا يتضح في قول حسان بن ثابت وهو يمدح الرسول (عليه الصلاة والسلام) :

أَغَرُّ عَلَيهِ لِلنُّبُوةِ خَاتَمٌ مِن اللهِ مَشهُودٌ يَلُوحُ وَيُشهَدُ
وَشَقَّ لَهُ من اسمِهِ لِيُجِلَّهُ فَذُو العَرشِ مَحمُودٌ وهَذَا مُحَمَّدُ

ورد الجناس في البيت الأول في (مشهود ، ويشهد) كما جاء ايضا في البيت الثاني بين (محمود ، ومحمد) جناس حرفي ، وبذلك أفاد الشاعر في تحقيق النغمة الموسيقية التي أثارت انتباه السامع بسبب التقارب الصوتي بين كلمتين متجانستين .

٢- الطباق : وهو ان تجمع بين الضدين في الكلام ، ونجد للطباق حضورا في شعر صدر الإسلام ، فهو يسهم في توضح المعنى وتوكيده ، ويكشف عن متناقضات الحياة ليعيد تشكيل الواقع من خلال التضاد .

وهذا حسان بن ثابت يوظف الطباق في اطار الرد على أبي سفيان عندما هجا الرسول (عليه الصلاة والسلام) نجد حسان يقول :

اتَهْجُوه وَلَسْتَ لَهُ بِكُفْءٍ
فَشَرُّكُما لِخَيْرِكُمَا الفِدَاءُ
فَمَنْ يَهْجُوا رَسُولَ اللهِ مِنْكُمْ
وَيَمْدَحُهُ وَيَنْصُرُهُ سَوَاءُ

جاء الطباق بين (شركما ، خيركما) في البيت الأول ، و (يهجو ، ويمدحه) أيضا في البيت الثاني ، وحسان هنا يؤكد أن الرسول (عليه الصلاة والسلام) هو المثل الاعلى في الخلق الكريم لايضره مدحهم أو هجاؤهم واستعمل الطباق ليؤكد فكرته هذه

وهذا الزبرقان بن بدر في رثائه للرسول (عليه الصلاة والسلام) يتذكر الرسول هاديهم ومرشدهم إلى طريق الحق والصواب ويقول :

وهادي الناس إلى رشدهم وشارع الحِلّ لهم والحرام

جاء الطباق في (الحل ، الحرام) ليبين أهمية الرسول (عليه الصلاة والسلام) ودوره في إصلاح المجتمع الإسلامي وإرشاد المسلمين إلى الحلال والحرام وتجنيبهم الوقوع في الحرام ، فالهداية لا تكون إلا بالتمسك بالأولى والابتعاد عن الاخرى ، وهكذا جاء الطباق طبيعيا ساقه المعنى وقواه بالتضاد .

٣- حسن التقسيم : ويسمى التقسيم بالتقطيع وهو تقطيع ألفاظ البيت الواحد من الشعر إلى أقسام متساوية في الوزن ، وقد ورد مثل هذا التقسيم في قول كعب بن مالك بقوله :

الحقُ مَنْطِقُهُ والعَدْلُ سِيرتُهُ فَمنْ يُجِبْهُ إليه يَنْجُ مِن تَبَبِ

لقد قسم كعب بن مالك الطريق والدستور الذي أقامه الرسول (عليه الصلاة والسلام) وحرص عليه على قسمين هما (الحق والعدل) وعمل التقسيم على توفير جرس موسيقي ناجم عن الوقفات القصيرة فيما بينها .

٤- التصريع : هو أن تكون القافية في صدر البيت موافقة للقافية في العجز ، وقد جرى أكثر الشعراء على استعمال التصريع في مطالع قصائدهم ، وها هو حسان بن ثابت (رضي الله عنه) يستعمل التصريع في أول بيت من قصيدته التي رثى بها الرسول (عليه الصلاة والسلام) فيقول :

بَطَيبَةَ رَسمٌ لِلرَسولِ وَمَعهَدُ مُنيرٌ وَقَد تَعفو الرُسومُ وَتَهمَدِ

لعل الدلالة الصوتية التي أحدثها صوت (الدال) في البيت السابق ، جعلت الشاعر يستعمله مرتين في الصدر والعجز ، ليعبر عن شدة ألمه وشكواه بفقد الرسول (عليه الصلاة والسلام) وتذكره للأماكن التي كان يرتادها ، وهذا التناغم الموسيقي يجعل القارئ أو السامع يتعاطف مع الشاعر ويشعر معه بعظم الفقد والمصاب ،

ولكن الذي يلحظ أن الامثلة على التصريع تكاد تكون قليلة ، فإذا أخذنا برأي البلاغيين من عدم استحسانهم للإكثار من التصريع في القصيدة الواحدة ، نجد أن شعراء صدر الإسلام لعلهم التزموا بذلك لما فيه من التكلف والتصنع ، وهذا قد نأى عنه شعراء ذلك العصر .

٥- رد العجز على الصدر : هو أن يأتي أحد اللفظين المكررين في أخر البيت ، وأن يأتي اللفظ الاخر في أول الصدر ، أو وسطه ، أو اخره ، أو أول العجز ، وهذا الفن من الضرب البلاغي استعمله حسان بن ثابت عندما قال في رثاء النبي (عليه الصلاة والسلام) :

وَمَا فَقَدَ الماضُونَ مِثْلَ مُحَمّدٍ ولا مثلهُ، حتى القيامة ، يفقدُ

رد الشاعر مفردة (فقد) في الصدر على (يفقد) في نهاية عجز البيت ، واستعمل ذلك من اجل شد انتباه السامع ، وتحقيق التوازن الموسيقي .

- حسان بن ثابت شاعر النبي (عليه الصلاة والسلام) -

مولده / لقد اختلف المؤرخون في تحديد مولد الشاعر حسان بن ثابت ، اذ ليس هناك انباء موثوقة وحقيقية عن ولادته ووفاته إلا ان الاجماع الحاصل في المدة التي عاشها وهي ١٢٠ سنة نصفها في الجاهلية ونصفها في الاسلام .

اصله ونسبه / ينتمي حسان بن ثابت الى قبيلة الخزرج وهي احدى قبائل اليمن البارزة التي هاجرت الى المدينة واستقرت فيها ، وينسب حسان من جهة ابيه الى بني مالك بن النجار فهو (حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد بن مناة بن عدي بن عمرو بن مالك بن النجار .) .

وكان حسان خزرجي من جهة امه ايضا فأمه هي الفريعة بنت خالد بن خنيس بن كعب بن الخزرج .

كنيته / يكنى حسان بن ثابت بابي الوليد ،وابي عبد الرحمن ،وابي الحسام .

اسرته / كان لحسان نسب عريق فوالده ثابت بن المنذر من سادة الخزرج و اشرافها ، وأخوة حسان بن ثابت هما اوس بن ثابت كان مما شهد العقبة الاخيرة من الانصار ونزل عليه عثمان بن عفان حين هاجر وأخا الرسول (عليه الصلاة والسلام) بينهما ، وأخوه الثاني ابي بن ثابت كان مما شهد بدر من الانصار ،ومن خواته كبشة ولبنى وقد ادركتا الاسلام وأسلمتا ، ومن ازواجه زوجه من الاوس تدعى عمرة بنت الصامت بن خالد ، وزوجة اخرى تسمى شعثاء وتزوج حسان بن ثابت سيرين بنت شمعون اخت مارية القبطية التي اهداها المقوقس ملك الروم الى الرسول (عليه الصلاة والسلام) ، ومن ثم نجد ان اسرة حسان كانت من اعرق بيوت العرب في الشعر والشاعرية فكان ابوه شاعرا وجده شاعرا ، وابنه عبد الرحمن شاعرا ، وحفيده سعيد بن عبد الرحمن شاعرا ، وكان هو اشعر اهل بيته .

- شعر حسان في الجاهلية -

كان شعر حسان في الجاهلية لا يختلف عن شعر اقرانه من حيث انه كان شديد العصبية لقومه لا يتعرض احدهم لسوء إلا انبرى مدافعا عنه بشعره يشيد بمناقبهم ويهجوا اعدائهم ، وكانت عصبيته هذه بادية في الصراع القائم بين الاوس والخزرج ، إذ ان شاعر قبيلة الاوس هو قيس بن الخطيم ، فكان حسان يتصدى لهذا الشاعر عندما يهجوا قبيلته ، كما ان حسان بن

ثابت كان يتصل بملوك الغساسنة وكان يمدحهم وينال جوائزهم وخصوصا في مدح ال جفنه ، اذ يقول فيهم :

أَسَأَلتَ رَسمَ الدَّارِ أَم لم تَسأَلِ

بَينَ الجَوَابِي فالبُضَيعِ فَحَومَلِ

فَالمَرجِ مَرجِ الصُّفَّرَينِ فَجَاسِمٍ

فَدِيَارِ سَلْمى دُرَّساً لم تُحلَلِ

أولادُ جَفنَةَ حَولَ قَبرِ أبِيهِم

قَبرِ ابنِ مَارِيةَ الكَرِيمِ المُفضِلِ

يُغشَونَ حَتَّى ما تَهِرُ كِلابُهُم

لا يَسأَلُونَ عن السَّوَادِ المُقبلِ

بِيضُ الوُجُوهِ كَرِيمةٌ أَحسَابُهُم

شُمُّ الانُوفِ مِن الطِّرَازِ الاوَّلِ

اولاد جفنة : هم ملوك غسان .

الجوابي : اسم مكان قرية تقع بين دمشق والاردن .

البضيع : جبل .

حومل : موضع او مكان .

الصفرين : موضع في دمشق .
فجاسم : اسم موضع اسم قرية في الاردن .
لم تحلل : لم ينزل فيها احد .
ابن مارية : هي ام بني جفنة (موزبقياء)
يغشون : ياتيهم او اتاهم .
تهر : تنبح .

السواد المقبل : الشخص المقبل .
احسابهم : ما يفتخر به من مآثر الاباء والأجداد

شم الانوف : كناية عن السيادة .

يستهل الشاعر قصيدته بذكر الديار والآثار على طريقة الجاهليين فيقول : هل سالت رسم الدار او اثارها ان تخبرك عمن كان فيها ذات يوم قمر ساطع وكوكب وضاء فان كنت لم تسال فسال فتلك المعالم افصح لسانا واقوى بيانا ، ثم بعد ذلك يدخل في مدح ال جفنة من الغساسنة ، اذ يمدحهم بالكرم وذلك حين انست كلابهم بكثرة ما يأتيهم من ضيوف ؛ فلا تهر على احد اي ان منازلهم لا تخلو من الطراق والضيوف ، وبذلك فانهم يتميزون بانهم اجواد سمحاء لهم اعراق كريمة في الحسب والنسب .

وبعد الانتهاء من انشاد هذه القصيدة اغدق عليه العطايا وملئت يديه بالأموال . كما انه اتصل ببلاط الحيرة اي المناذرة وعليها ابو قابوس النعمان بن المنذر ، اذ حل حسان بن ثابت محل النابغة الذبياني بعد ان وقع الاخير في خلاف مع النعمان ابن المنذر ، ولقد افاد الشاعر حسان من خلال دفاعه عن قبيلته وهجاءه لقبيلة الاوس معرفة بالشعر الهجائي ومذاهبه ، وكذلك افاد من خلال احتكاكه بالملوك معرفة بالمدح وأساليبه وكان حسان في جاهليته يعيش حياة لاهية وكثيرا ما كان

يشرب الخمر ويلهو فيها ، وهذا يتضح في قوله :

وَنَشْرَبُهَا فَتَتْرُكُنَا مُلُوكاً

وَأُسْداً ما يُنَهْنِهُنَا اللِّقاءُ

- شعر حسان بن ثابت في الإسلام -

كان لظهور الاسلام وانتشاره في المدينة المنورة بداية عهد جديد في حياة شاعرنا ، فقد اختاره الرسول (عليه الصلاة والسلام) ليدافع عن دعوته واختاره ان يكون شاعره المبجل ليدافع عن الاسلام بلسانه الصارم ، ويرد على المشركين اكاذيبهم وهجاءهم ، فتصدى لشعراء المشركين امثال عبدالله بن الزبعري ، وابي سفيان بن الحارث وغيرهم . وقد استأذن حسان بن ثابت الرسول (عليه الصلاة والسلام) في هجاء المشركين والرد عليهم فإذن له الرسول بذلك فقال حسان : ((والذي بعثك بالحق لأسلنك منهم كما تسل الشعرة من العجين)) وفي الحقيقة ان اختيار الرسول (عليه الصلاة والسلام) للشاعر حسان بن ثابت من ان يكون شاعره هو اختيار لم يكن عفويا او اعتباطيا ، فقد استطاع حسان ان يبلغ من نفوس مشركي قريش ومن شعرائهم ما لم يبلغه سواه من شعراء الاسلام مثل (عبدالله بن رواحة ، وكعب بن مالك) ، وكذلك

مفاخرة شعراء الوفود ، ورثاء الشهداء ، فكان شعره في تلك الحقبة سجلا تاريخيا لجميع الاحداث التي توالت على المسلمين ، فغلب عليه منذ ذلك الحين الطابع الاسلامي في جل اغراضه **الشعرية** ، وقد نال حسان الرفعة ،والمكانة ، والإعجاب من المسلمين ومن هنا هنا لقب هذا الشاعر بشاعر الرسول (عليه الصلاة والسلام) .

الذي يلحظ ان ثمة تحول في البنية الثقافية ،والسياسية ،والدينية طرات في شعر حسان بن ثابت في عصر صدر الاسلام .

ففي الجانب الثقافي نجد ان حسان قد وظف مصطلحات جديدة في تشكيل المعنى الشعري ومن هذه المصطلحات الجديدة (لفظة الساعة) احد اسماء يوم القيامة ، وذلك في قوله :

فَتَقُومَ سَاعَتُنا فَنَلقَى طَيِّباً

مَحضاً ضَرَائِبُهُ كَرِيمَ المَحتِدِ

ساعتنا : يوم القيامة .

طيبا : الرسول (عليه الصلاة والسلام)

المحتد : الاصل

فهذا النوع تحول فكري فالإيمان بالبعث والحساب بعد الموت يأتي تحت هذا المصطلح الاسلامي الجديد ليصبح من المخزون الثقافي للشاعر ، وسبيل الشاعر الى هذه المصطلحات ادراكه لعدد من الايات القرآنية الكريمة ، كقوله تعالى : ((وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ...)) ، وقوله تعالى : ((وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ)) ، وهذا الامر يطلق عليه بالتناص القراني .

ومن المصطلحات الجديدة ايضا (جنة الفردوس) في قوله :

في جَنَّةِ الفِردَوسِ فاكُتبهَا لَنا

يَا ذَا الجَلاَلِ وَذَا العُلاَ وُالسُّؤُدَدِ

وقد ورد ذكر هذا المصطلح في القران الكريم اكثر من مرة ، كما في قوله تعالى : ((إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا)) الكهف:١٠٧

اما التحول السياسي في شعره يتضح من خلال ان الاسلام اراد لشاعر القبيلة ان يصبح شاعر الامة او الدولة ومن هنا جاء ترديد الشاعر للاسم الجديد لقبيلته (الانصار) الذي ضم فضلا عن قبيلته الخزرج قبيلة الاوس وتفاخر الشاعر بهذا الاسم في قوله :

سَمَّاهُمُ الله أَنصَاراً لِنَصرِهِمِ

دِينَ الهُدَى وَعَوَانُ الحَربِ تَستَعِرُ

عوان : الذي قتل مرة بعد مرة .

ويبدوا ان الحافز لهذا التفاخر يرتبط بشكل مباشر بسبب التسمية (الانصار) ، اذ ما كان شاعر الرسول (عليه الصلاة والسلام) ان يدعي ذلك لولا ورده في القران الكريم بشكل صريح في قوله تعالى : ((وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)) التوبة : ١٠٠.

اما التحول الديني في شعر حسان بن ثابت من خلال اي ايمانه المطلق بوحدانية الله عز وجل وتنزيه الله جل وعلا عن كل شرك ادعى به المشركين وهذا يتضح في قوله :

وَأَنتَ الهَ الخَلقِ رَبِّي وَخَالِقِي

بِذَلكَ مَا عَمَّرتُ في النَّاسِ أَشهَدُ

تَعَالَيتَ رَبَّ النَّاسِ عن قَولِ مِن دَعَا

سِوَاكَ الهاً أَنتَ أَعلَى وَأَمجَدُ

لَكَ الخَلقُ والنَّعماءُ وَالامرُ كُلُّهُ

فَإِيَّاكَ نَستَهدِي وَإِيَّاكَ نَعبُدُ

- قضية جبن حسان بن ثابت ومناقشتها -

اثيرت في حياة حسان بن ثابت عدة قضايا وهذه القضية من القضايا التي اثيرت في حياته من ان حسان بن ثابت لم يشارك في اي غزوة من غزوات الرسول (عليه الصلاة والسلام) ونحن نرد على ذلك ونقول :

اولا- ان الجهاد فرض فيه شكلان (فرض عين) (وفرض كفاية) اما فرض العين فيفرض على الشاب المسلم السالم القادر على حمل السلاح المتمكن منه ، فهذا واجب على الانسان ان يجاهد ولا يتأخر عنه في حين ان (فرض الكفاية) هو اذا ما قام به شخص معين فانه يسقط عن الاخرين ، لذا فان حسان بن ثابت رجل كبير السن وكبير السن غير ملزم بحمل السلاح ، لاسيما ان حسان كان يعاني من بعض العاهات مثل انه مقطوع الاكحل في يده ، وكان اعمى وهذا يعني انه كان من اصحاب الاعذار وهذا ينطبق عليه قوله تعالى : ((لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا)) الفتح :١٧.

هذا بالإضافة الى ان حسان قد دخل في معركة اخرى غير معركة السيف وهي معركة شرف الكلمة اي دخل في معركة شعرية مع شعراء المشركين للدفاع عن الاسلام والمسلمين ، ومن يطلع على اشعاره في الجاهلية والإسلام نجده كثيرا ما يفتخر بشجاعته في شعره ومن ذلك قوله :

لِسَانِي وَسَيفِي صَارِمَانِ كِلاَهُما

وَيَبلُغُ ما لا يبلغ السَّيفُ مِذودِي

ومن شعره الاسلامي وهو يفتخر بشجاعته في قوله :

لَنَا في كُلِّ يَومٍ مِن مَعَدٍّ

سِبَابٌ أو قِتَالٌ أو هِجَاءُ

فَنحكِمُ بالقَوَافِي مَن هَجَانَا

وَنَضرِبُ حِينَ تَختلِطُ الدِّمَاءُ

بِانَّا سُيُوفَنَا تَرَكَتكَ عَبْداً

وَعَبْدَ الدَّارِ سَادَتُهَا الاماءُ

فليس من المعقول ان تخرج مثل هذه الابيات عن شاعر تميز بالجبن .

ثانيا – استندوا الى رواية صفية بنت عبد المطلب عمة الرسول (عليه الصلاة والسلام) وهي رواية يتيمة ومنفردة ، والمفرد لايقاس عليه ولا يستنتج منه حكم عام ، هذا بالاضافة ان هذه الرواية ضعيفة ؛ لانها مقطوعة السند وتميزت بالاضطراب .

ثالثا – واهم من ذلك كله انه لو كان حسانا جبانا فعلا لاستغل شعراء المشركين هذه الصفة ونعتوه بها لكن لم يرد ولو بيت واحد من شعراء المشركين يدين حسان بهذه الصفة .

- قضية الاختلاط في شعر حسان بن ثابت-

برزت هذه القضية في شعر حسان بن ثابت للأسباب الاتية :

اولا- اختلط شعر حسان بن ثابت بشعر اهله ؛ والمسوغ في ذلك هو كون عائلة حسان شاعرة فنسبت اليه اشعار ابيه وأشعار ابنه .

ثانيا – عاصر حسان بن ثابت شعراء اخرون كانت اشعارهم مقاربة الى شعر حسان بن ثابت مثل عبدالله بن رواحة ، وكعب بن مالك .

ثالثا – حينما هجا حسان بن ثابت قريش بشعره ولكي ينتقم منه اخذوا ينظمون اشعارا وينسبونها الى حسان ؛ وذلك من اجل تشويه سمعته والتقليل من شانه .

رابعا – كان هناك جماعة من بني امية قد اخذوا بنظم اشعار وينسبونها الى حسان بن ثابت ليظهروا للراي العام من ان شاعر الرسول (عليه الصلاة والسلام) يقف بجانبهم وهو مؤيد لهم .

- قضية الضعف واللين في شعر حسان بن ثابت -

ان شعر حسان بن ثابت الذي قاله قبل الاسلام لم يكن على نمط واحد من الابداع ، اي لم يكن بمستوى الابداع والجودة التي قد تتخيله ، بل كان شعره متفاوت بين القوة والابداع ، والركة والضعف وهذا الامر ينطبق ايضا على شعره في عصر صدر الاسلام ، اذ نجد قوة العاطفة ،وجمال التعبير ، وحلاوة اللفظ مما دفع شعره الى درجة الفحول من الشعراء بالمقابل نجد ابيات اخرى اتسمت بالركة والضعف لغة ، وأسلوبا ، وخيالاً .

هذا الامر قد اشار اليه الاصمعي في قوله ((ان طريق الشعر اذا ادخلته في باب الخير لان وضعف ألا ترى الى شعر حسان بن ثابت انه قد علا في الجاهلية وضعف في الاسلام)) ، لقد اراد الاصمعي ان يقول من خلال نصه المشار اليه ان الشعر الاسلامي عند حسان بن ثابت قد تميز بالضعف ، والحقيقة ان هذا الضعف لم يكن حقيقيا في حسان نفسه ، وإنما ينبع هذا الضعف من مسوغات ابرزها :

أولا- وجود شعر موضوع قد نسب الى حسان ، وذلك لسبب من اسباب الانتحال المعروفة وقد اكد هذه الفكرة ابن سلام الجمحي الذي اشار الى كثرة الوضع في شعر حسان بن ثابت .
ثانيا- طبيعة الدعوة الاسلامية التي عاشت ظروفا صعبة ومختلفة تطلبت من الشاعر ان يرتجل الشعر في كثير من المواقف وهذا الارتجال قد يبدع فيه حسان وقد يخطأ ، لأنه يتطلب منه السرعة للوقوف الى جنب المسلمين والدفاع عنهم بإشعاره .

ثالثا- ان هذا الضعف في شعر حسان ناتج عن كبر سنه ، لاسيما انه من الشعراء المخضرمين .

اما الامر الاخر الذي استند عليه الاصمعي ان الشعر الاسلامي عند حسان قد تميز باللين والحقيقة ان هذا اللين ينطلق مسوغات من ابرزها :

أولا- ان هذا اللين من خصائص الشاعر الانصاري ، اذ ان الخصيصة (اي اللين) كانت موجودة ايضا في شعره الجاهلي ، والسبب في ذلك ناتج عن نشأته فهو من شعراء المدن ، وهم معرفون برقة شعرهم ، وهذا بخلاف شعراء البادية ، فضلا عن ان حياة حسان في جاهليته كانت حياة تتسم بالترف والنعيم ، لانه كان من سكان الحضر .

ثانيا- انه قد نسبت الى حسان اشعار لا تصح عنه ، وهذا القول يرجع الى الاصمعي .

ثالثاً- يكمن في تأثير اسلوب القران الكريم في نفسه ، وما في هذا الاسلوب من رقة اللفظ والتعبير ، فقد عدل بالشاعر من الالفاظ الغريبة الصلبة الى الالفاظ الواضحة السهلة ، وقد اجاب حسان بنفسه عن وجود هذه الخصيصة في شعره ، حينما جاء رجل الى حسان بن ثابت يسأله عن شعره ، فقال الرجل : يا أبا حسام اي حسان ان شعرك قد هرم في الاسلام ، فأجاب حسان فقال : يابن أخي ان الشعر يزينه الكذب ، والإسلام يمنع الكذب ،ويؤكد ذلك في قوله :

وَانَّ أَشعَرَ بَيتٍ أَنتَ قائِلُهُ

بَيتٌ يُقَالُ اذَا أَنشَدتَهُ صَدَقا

- رأي النقاد في شعر حسان بن ثابت-

اولاً- رأي ابو عبيدة (ت٢٠٩ ه) الذي يقول : ((فضل حسان الشعراء بثلاثة مميزات ، كان شاعر الانصار في الجاهلية ، وشاعر النبي في النبوة ، وشاعر اليمن كلها في الاسلام)) .

ويقول ايضا : ((اجتمعت العرب على ان حسان اشعر اهل المدر)) .

ثانياً- قول الاصمعي : ((ان حسان هو احد فحول الشعراء ، فقال له تلميذه ابو حاتم : تأتي له اشعارا لينة ، فقال الاصمعي : تنسب له اشعار لا تصح عنه)).

ثالثاً- قول ابو الفرج الاصفهاني : ((حسان فحل من فحول الشعراء)) .

رابعاً- هو قول الشاعر الحطيأة :((ابلغ الانصار ان شاعرهم اشعر العرب)) .

خامساً- حين سمع النابغة الذبياني حسان بن ثابت قال لحسان : انك لشاعر ، وكذلك شهد له بالشاعرية الشاعر الجاهلي الاعشى .

-الاغراض الشعرية التي نظم فيها حسان بن ثابت شعره-

أولا الفخر : الفخر عند حسان بن ثابت يتجه في اتجاهين :

١- فخر جاهلي : وهذا الفخر يمكن ان يقسم على قسمين :

أ- فخر ذاتي : ففيه يفتخر الشاعر بنفسه ويعتز بها ، ويبرز فيه تفوقه على اقرانه وبخاصة في الموهبة الشعرية ، وربما نجده يتحدى الشعراء ويفاخرهم بأن ياتوا بمثل ما اتى به ، اذ يقول :

لا أسرِقُ الشَّعراءَ ما نَطَقوا

بل لا يُوافِقُ شِعرَهُم شِعري

ومن فخره الذاتي ايضا نجده يفتخر بسيفه وشجاعته ، اذ يقول :

لِسَانِي وَسَيفي صَارمَانِ كلاهما

ويبلغُ مالا يبلغُ السَّيفُ مِذوَدِي

ب- الفخر القبلي : ومثلما فخر حسان بن ثابت بنفسه فخر بنسبه وقبيلته ، وتغنى بمآثرها وأمجادها ، وقد غالا حسان بعصبيته الى درجة انه طلق زوجه (عمرة الاوسية) حين عيرته بقبيلته الخزرج وفخرت عليه بقومها . ومن فخره في قبيلته قوله :

ولقد تُقَلِّدُنَا العشِيرةُ أمرَهَا

ونسُودُ يومَ النَّائِباتِ وَنَعْتَلي

وتزوُرُ أبوَابَ المُلُوكِ رِكَابُنَا

ومتى نُحَكَّمْ في البرِيَةِ نَعْدِلِ

٢- فخره الاسلامي : هو التفاخر بنبي الاسلام والتفاخر بالدين الاسلامي الحنيف الذي بينه للناس النبي (عليه الصلاة والسلام) ، ومن ذلك مفاخرة حسان بن ثابت الزبرقان بن بدر في قوله :

انَّ الذُّوَائِبَ مِن فِهرٍ وَاخوتِهِم

قد بَيَّنُوا سُنَّةً لِلنَّاسِ تُتَّبَعُ

يرضى بها كلُّ من كَانَت سَرِيرَتُهُ

تَقوى الالهِ وبالامرِ الذي شَرَعُوا

قومٌ اذا حَارَبُوا ضَرُّوا عَدُوَّهُم

أَو حَاوَلُوا النفْعَ في أَشيَاعِهِم نَفَعُوا

سَجِيةٌ تلك منهم غيرُ مُحدَثَةٍ

انَّ الخَلاَئِقَ فاعلم شَرُّهَ ا البِدَعُ

أَكرِم بِقَومٍ رَسُولُ الله شِيعَتُهُم

اذا تَفَرَّقَتِ الاهوَاءُ والشّيَعُ

فَانَّهُم أفضَلُ الأَحيَاءِ كُلّهِمِ

انْ جَدَّ بالنَّاسِ جِدُّ القَولِ أو شَمَعُوا

- معاني الالفاظ -

١- الذوائب : اعلى كل شيء ،او شريف القوم ، او القبيلة .
٢- فهر : اصل قريش .
٣- الشيع : المناصرون .
٤- شمعوا : فرحوا .

وهذه المسالة اي الفخر تفيدنا في شيء ، وهي انه لو صدق قول القائل بأن حسان كان جبانا ، لكان هناك اكثر من شاعر يفند هذا القول ويدحضه اي يفند فخره (اي كذب الفخر) .

ثانيا- المدح : لقد اتصل موضوع المدح عند الشاعر في عصر ما قبل الاسلام بموضوع الفخر حينما اخذ الشاعر بمدح قبيلته الخزرج ، ومدح ملوك الغساسنة من اجل الحصول على الاموال والهدايا لكن في عصر صدر الاسلام اقتصر مدح الشاعر على الرسول (عليه الصلاة والسلام) وكبار الصحابة ، ومن مدحه للرسول (عليه الصلاة والسلام) قوله :

وَأحسَنُ مِنكَ لم تَرَ قَطُّ عَينِي

وَأَجمَلُ مِنكَ لم تَلِدِ النِّسَاءُ

خُلِقتَ مُبَرَّأً من كُلِّ عَيبٍ

كَأَنَّكَ قد خُلِقتَ كَمَا تَشَاءُ

ويقول ايضا :

ما ان مدحتُ محمداً بمقالتي

لكن مدحت مقالتي بمحمدٍ

ثالثا- الهجاء: هو الغرض الذي برز فيه حسان بن ثابت ، وهذا الغرض ينقسم على قسمين :

اولاً- هو ما كان في سبيل قبيلته اي انه يهجو اعدائها وخصومها ، ومن هذا القبيل المهاجاة بينه وبين قيس بن الخطيم شاعر قبيلة الاؤس، وكانت معاني هذا الهجاء تدور حول الجبن ، والهروب من المعركة ، او الهزيمة والذلة .

ثانياً- هو ما كان في سبيل عقيدته ، وإيمانه بالله والرسول (عليه الصلاة والسلام) ، وفي سبيل الدعوة الاسلامية ، فقد امتاز حسان في فن الهجاء حتى انه فاق شعر المشركين بلسانه ، اذ كان الرسول (عليه الصلاة والسلام) يقول في هذا الشأن : ((هذا اشد عليهم من وقع النبل)) ، وقوله عليه الصلاة والسلام (لشعرك اشد على قريش من سبعين رجلاً مقاتل)) ، يقول حسان بن ثابت في هجاء ابي جهل :

سَمَّاهُ مَعشَرُهُ أَبَا حَكَمٍ وَاللهُ سَمَّاهُ أَبَا جَهل

فَمَا يَجِيءُ الدَّهرَ مُعتَمِراً إلا وَمِرجَلُ جَهلِهِ يَغلِي

رابعا- الرثاء : لقد كان حسان شاعر رثاء مجيد ، فقد رثى النبي (عليه الصلاة والسلام) ، ورثى شهداء بدر ، وشهداء احد وخاصة حمزة بن عبد المطلب ، ورثى عثمان بن عفان (رضي الله عنهما) ، وقد كان هذا الرثاء يتضمن فضائل الصحابة والإشادة ببطولاتهم في الغزوات والحروب ، يقول حسان بن ثابت في رثاء النبي (عليه الصلاة والسلام) :

أَطَالَتْ وُقُوفاً تَذرِفُ العَينُ جُهدَهَا

على طَلَلِ القبرِ الذي فيهِ أَحمَدُ

فَبُورِكتَ يا قَبرَ الرَّسُولِ وَبُورِكَتْ

بِلادٌ ثَوَى فيها الرَّشيدُ المُسَدَّدُ

لقد اطلت الوقوف عند قبر الرسول (عليه الصلاة والسلام) وعيناي تجودان بكل ما تسمح به طاقتهما من الدموع حزنا عليه ، اذ يدعو الشاعر ان يبارك الله القبر الذي ضم جثمان الرسول (عليه الصلاة والسلام) والبلاد التي يوجد فيها هذا القبر ويقول : ان الرسول (عليه الصلاة والسلام) كان يرشد الناس الى الحق ويسدد خطاهم على طريق الخير .

خامسا- الغزل : لم يشذ ولم يخرج عن اقرانه من الشعراء الجاهليين فجاراهم وحاكاهم في المطالع الغزلية التي يستهلون بها معظم قصائدهم الشعرية ، اذ كانت هذه طقسا من الطقوس لايمكن لاي شاعر من الشعراء ان يتجاوزها حتى وأن كان الشاعر متشبعا بروحانية الإسلام او تعاليمه ، فحسان بن ثابت شأنه شأن شعراء عصره يستهلون قصائدهم الشعرية بالمقدمة الطللية او الغزلية ثم يتخلصون منها الى الاغراض الاخرى ، وهاهو يقول :

عَفَتْ ذَاتُ الاصابعِ فَالجِوَاءُ

الى عَذْراءَ مَنْزِلُها خَلاءُ

دِيَارٌ مِنْ بَنِي الْحَسْحَاسِ قَفْرٌ

تُعَفّيهَا الرَّوَامِسُ والسَّمَاءُ

وَكَانَتْ لا يَزَالُ بِهَا انِيسٌ

خِلالَ مُرُوجِهَا نَعَمٌ وَشَاء

فَدَع هذا ولكن مَنْ لِطَيْفٍ

يُؤَرِّقُنِي اذا ذهبَ العِشَاءُ

لِشَعْثاءَ التي قد تَيَّمَتْهُ

فَلَيْسَ لِقَلبِهِ منها شِفَاء

سادسا- الحكم والمواعظ : تحدث حسان بن ثابت في شعره عن الحكم والمواعظ وله نظرات ومواقف تجاه الكون والحياة كما ان لتجربته اثرٌ في شعره ومن حكمه نذكر قوله :

أَعرِض عن العَورَاءِ أن أُسمِعتَهَا

وَاقعُد كَأَنَّكَ غَافِلٌ لا تَسمَعُ

وَدَعِ السُّؤالَ عن الامورِ وَبَحثَها

فَلَرُبَّ حَافِرِ حُفرَةٍ هو يُصرعُ

وَالزَم مُجَالسَةَ الكِرَامِ وَفِعلهُم

وإذا اتَّبعت فَأبصِرَن مَن تَتَبعُ

ويقول ايضا :

وَكُلُّ أَخٍ يَقُولُ أَنَا وَفِيٌّ

وَلَكِن لَيسَ يَفعَلُ مَا يَقُولُ

سِوَى خِلُ لَّهُ حَسَبٌ وَدِينٌ

فَذَاكَ لِمَا يَقُولُ هُوَ الفَعُولُ

-كعب بن مالك -

هو كعب بن مالك بن أبي كعب ، واسم أبي كعب : عمرو بن القين بن كعب بن سواد الخزرجي الأنصاري ، يكنى أبا عبد الله وقيل : أبا عبد الرحمن ، لقب شاعرنا بالخزرجي ايام جاهليته ، أما بعد إسلامه فقد اصبح يعرف (كعب بن مالك الأنصاري) نسبة إلى الأنصار الذين ناصروا رسولنا الأكرم (عليه الصلاة والسلام) ومن معه من مهاجري مكة .

شهد العقبة الثانية، ،وشهد أحدا والمشاهد كلها حاشا تبوك ، فانه تخلف عنها ، وهو أحد الثلاثة الأنصار الذين قال الله فيهم : ((وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ)) وهم كعب بن مالك ، وهلال بن أمية ، ومرارة بن الربيع – (رضي الله عنهم) تخلفوا عن غزوة تبوك فتاب الله عليهم وعذرهم وغفر لهم ونزل القران في شأنهم . وكعب بن مالك بموقفه هذا المساند للدين الجديد أصبح في عداد شعراء المسلمين الاوائل الذين استطاعوا ان يجمعوا إلى جانب شاعريتهم تلك المنزلة الرفيعة دينيا واجتماعيا ، كون اسمه قد أصبح في عداد أصحاب رسول الله (عليه الصلاة والسلام) وأي منزلة أعظم من هذه المنزلة

وفاته :

توفي (رضي الله عنه) في زمن معاوية بن أبي سفيان سنة خمسين ، وقيل : سنة ثلاث وخمسين وهو ابن سبع وسبعين ، وكان قد عمي وذهب بصره في اخر عمره .، وبهذا انتهت حياة شاعرنا الكبير الذي كان شعره سجلا لتاريخ ديننا الحنيف وديوانا لايامه وأحداثه .

شعره :

وكان قد غلب عليه في الجاهلية أمر الشعر وعرف به ، فهو واحد من فحول شعراء القرى العربية الذين تحدث عنهم ابن سلام الجمحي (ت ٢٣١هـ) وهو عنده شاعر مجيد وهو

صاحب ((أصل عريق وفرع طويل في الشعر)) فهو ينسب إلى أسرة شاعرة ، كان شاعرا مجودا مطبوعا مما يدل على شاعريته الفذة وتمكنه من فنه .

الذي يلحظ ان شعر كعب بن مالك كان قد خلا من بعض الاغراض الشعرية التقليدية مثل الغزل والخمريات ، لان كعب لم يعرف عنه انه قد عاش حياة ماجنة ليأتي على تصويرها في شعره . ويلحظ ايضا على فنون شعره أنها متداخلة في القصيدة الواحدة فهو يفخر ثم يهجو ، أو يمدح ثم يعود إلى الفخر.

وهو واحد من الذين فتح الله قلبهم للأيمان في صدر الدعوة الإسلامية ، فاختار لنفسه ان يكون أحد أعلام شعرائها المعدودين البارزين الذين أنبروا للدفاع عن رايتها وحامل لوائها نبينا الاكرم (عليه الصلاة والسلام) إلى جانب رفيقيه حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة فأسهم بذلك في تدوين تأريخها ، وتسجيل أحداثها المتمثلة بانتصاراتها وأحزانها فكان لشعره في النصر والهزيمة وقعا مؤلما في نفوس المشركين .

إذ كان كعب يخوف قريش بالحرب ، وكان حسان يهجوهم بالأحساب والأنساب ، أما عبد الله بن رواحة فكان يجهوهم بالكفر ، وقد أسلمت قبيلة دوس خوفا من قول كعب بن مالك (رضي الله عنه) :

قَضَيْنَا مِنْ تِهَامَةَ كُلَّ وتر وخيبَر ثُمَّ أَجْمَمْنَا السّيُوفا

نُخَيّرُهَا وَلَوْ نَطَقَتْ لَقَالَتْ قواطِعُهُنَّ دوساً أو ثَقيفَا

وبذلك كانت أهم ما خاضت فيه شاعرية كعب من موضوعات شعرية في الإسلام هي الغزوات والمراثي وخلال هذين الغرضين ساق الفخر والرد على المعارضين من شعراء قريش ، ، إذ أولع بذكر الحرب في شعره ، وافتخر بالانتساب اليها ، إذ يقول :

بَنُو الْحَرْبِ لَا نَعْيَا بِشَيْءٍ نَقُولُهُ وَلَا نَحْنُ بِمَا جَرَتْ الْحَرْبُ نَجْزَعُ

بَنُو الْحَرْبِ إنْ نَظْفَرْ فَلَسْنَا بِفُحْشِ وَلَا نَحْنُ مِنْ أَظْفَارِهَا نَتَوَجّعُ

نظم كعب في فنون شعرية مختلفة منها المدح ، إذ كان مديحه اشادة بالرسالة والدعوة الإسلامية ، على نحو ما نرى في قوله :

وَفِينَا رَسُولُ اللَّهِ نَتْبَعُ أَمْرَهُ إذَا قَالَ فِينَا الْقَوْلَ لَا نَتَطَلَّعُ

تَدَلَّى عَلَيْهِ الرُّوحُ مِنْ عِنْدِ رَبه يُنَزَّلُ مِنْ جَوِّ السَّمَاءِ وَيُرْفَعُ

ونظم في الهجاء وهو هجاء لمن ضل عن عن طريق الحق وأنكر سبيل الهداية ، ومما يميز هجائه عفة الفاظه وبعد معانيه عن الفحش والفجور ، فقد كان له من قوة الايمان ، وصدق العقيدة ما عصمه من الانحدار إلى اسلوب السباب والإقذاع ،وما يميز هجاء كعب ايضا انه كان يسلك فيه احيانا سبيل السخرية ،والتهكم ،والاستهزاء بالمهجو ، ومعروف ان هذا الاسلوب في

الهجاء أبلغ اسلوب وأكثر ايلائما في نفس المهجو ، من ذلك يصف جيش أبي سفيان حين غزا المدينة بالقلة والحقارة. بقوله :

جاءوا بِجَيْشٍ لَوْ قِيسَ مُعْرَسُهُ ما كان إلا كَمُعْرَسِ الدُّئِلِ

قيس" أي: لو قدر؛ من قاس يقيس،قوله: "معرسه" ، وهو المنزل الذي ينزل به الجيش.

و "الدئل" بضم الدال وكسر الهمزة وفي آخره لام، وهي دويبة صغيرة شبيهة بابن عرس.

وجاء الفخر عند كعب تغنيا بانتشار الدين ، وكذلك الاشادة بمآثر اخلاقية ومكارم انسانية،ونيل الشهادة في سبيل الله ، وتأييد الملائكة لهم في القتال ، ويمكن ان نلحظ هذا في قوله :

وَيَوْمَ بَدْرٍ لَقِينَاكُمْ لَنَا مَدَدٌ فِيهِ مَعَ النَّصْرِ مِيكَالُ وَجِبْرِيلُ

إنْ تَقْتُلُونَا فَدِينُ الْحَقِّ فِطْرَتُنَا وَالْقَتْلُ فِي الْحَقِّ عِنْدَ اللَّهِ تَفْضِيلُ

قال كعب بن مالك حين فرغ النبي (عليه الصلاة والسلام) من حنين وأجمع السير إلى الطائف (سنة ٨ هـ) :

قضَيْنَا مِنْ تِهَامَةَ كُلَّ وتر وخيبَر ثمَّ أَجْمَمْنَا السّيُوفا

نُخَيّرُهَا وَلَوْ نَطَقَتْ لَقَالَتْ قواطِعُهُنَّ دوساً أو ثَقيفَا

فَلَسْتُ لِحَاضنٍ أنْ لَمْ تَرُوهَا بِسَاحَةِ دارِكُمْ منّا أُلُوفَا

وَنَنْتَزِعُ العُروشَ بِبَطْنِ وجٍّ وتصبحُ دُورُكم منكمُ خَلُوفَا

ويَأتِيكُمْ لَنَا سَرعَانُ خَيْلٍ يُغَادِرُ خَلْفَهُ جمعاً كَثيفَا

إذا نزلُوا بسَاحَتِكُم سَمِعْتُمْ لَهَا مِمّا أناخَ بها وجِيفَا

بأيدِيهِمْ قَوَاضِبُ مُرهَفَاتٌ يُزِرْنَ المُصْطَلينَ بِهَا الحُتوفَا

وأنّا قَدْ أَتَيْنَاهُمْ بِزَحْفٍ يُحِيطُ بِسُورِ حُصْنِهُمُ صُفُوفَا

رئيسُهُم النّبيُّ وكانَ صُلْباً نقيَّ القَلْبِ مُصْطَبِراً عَزُوفَا

نُطِيعُ نَبيَّنَا وَنُطِيعُ ربّاً هُوَ الرّحمن كانَ بِنَ رَؤُوفَا

لأمرِ اللهِ والإسلاَمِ حتَّى يَقُومَ الدّينُ معتدلاً حَنِيفَا

وتُنْسَى اللاّتُ والعُزَّى وَوُدٌّ ونَسْلُبُها الَقلاَئِدَ والشُّنُوفَا

-معاني الكلمات -

- تهامة : هي الأرض المنخفضة التي تساير البحر قبل مكة ، وأراد موقعة حنين بها ، الوتر: الثأر ، وقضى وتره : أدركه ، أجممنا : أرحنا السيوف فأغمدناها ، خيبر : تذكير باليهود فيها .

- دوس وثقيف : هما القبيلتان المشهورتان ، ومنزلهما الطائف .

- الحاصن : المرأة العفيفة الكريمة . يقول : لست ولد هذه الحصان العفيفة إذا لم أحقق ما أتوعدكم به من الشر .

- عرش الكرم :ما تدعم به قضبان الكرم ، والجمع عروش ، ووج : هي الطائف ونواحيها كثيرة الأعناب يهددهم باقتلاع كرومهم وإحراقها، حي خلوف : فارقة الرجال ولم يبق إلا النساء ، أي ستقتل رجالكم .

- سرعان خيل : الخيل المسرعة التي تتقدم الجيش .

- وجف وجيفا : سقط من الخوف ، والوجيف : سرعة الناقة أو رجيف : الحركة للحرب .

- القواضب : السيوف القاطعة .

- اللات والعزى وود : أصنام العرب كانت تقلد القلائد ، الشنوف :جمع شنف وهي القرط الاعلى يلبس في قوف الأذن (القسم العلوي)أما ما يلبس في شحمة الأذن فهو الرعثة

النثر في عصر صدر الاسلام

أولا- الخطابة

تعد الخطبة من الفنون النثرية التي كانت معروفة عند العرب منذ عصر ما قبل الاسلام اذ كان العرب يستعملونها في مفاخرهم ومنافرهم وحروبهم وكذلك كانت تستخدم من قبل الكهان حيث انهم كانوا يسجعون في خطاباتهم .

وحين انبثق نور الاسلام تهيا للخطابة الظرف المناسب لكي تزدهر وتتنوع فنونها وأغراضها فأصبحت مظهرا بارزا من مظاهر الحياة العقلية والفكرية والأدبية في العصر الاسلامي من حيث اعتمادها على المحاججة والمجادلة والشرح والإقناع والتبصير ومن الذين نهضوا بها في عصر صدر الاسلام هو الرسول (عليه الصلاة والسلام) والخلفاء الراشدين ولولاة والقادة .

اما اهم الاسباب التي كانت تكمن وراء نشأة الخطابة في عصر صدر الاسلام هي :

١. ان الرسول (عليه الصلاة والسلام) استخدمها كوسيلة من الوسائل الرئيسة لتوجيه الناس وتبصيرهم بأمور الدين والدنيا وللتحاور معهم بشكل مباشر .
٢. ان توظيف الرسول لهذا الفن يعد شكلا من اشكال الرد على المشركين الذين اتهموه بالشاعرية .
٣. تعد الخطبة من ضروريات ترسيخ الدين من خلال استخدمها في المناسبات الدينية (كخطب الجمع والأعياد).
٤. استخدمت الخطابة في بث روح الحماس وشحذ الهمم لدى المقاتلين في ساحات القتال .
٥. استخدمت من قبل الخلفاء وقادة المسلمين ليعبروا عن الطريق الذي سوف ينتهجونه في ادارة امور الدولة كما جاء في خطبة ابي بكر وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن ابي طالب (رضي الله عنهم) .
٦. كانت الخطابة الوسيلة الرئيسة للوفد التي كانت تفد الى الرسول (عليه الصلاة والسلام) وذلك للتعبير عما يريدون قوله في هذه المناسبة .

صفات الخطابة في عصر صدر الاسلام

١. من حيث شكلها : فقد سن الرسول (عليه الصلاة والسلام) في خطبه اصول الخطابة من حيث استفتاحها بالآيات القرآنية فقد اشار ابن قتيبة (ت ٢٧٦ ه) في كتابه عيون الاخبار الى هذا بقوله :
(تتبعت خطب الرسول الكريم فوجدت اوائل اكثرها الحمد لله نستعينه ونؤمن به ونتوكل عليه ونستغفره ونتوب اليه ونعوذ بالله من شرور انفسنا ومن سيئات اعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له واشهد ان لا اله إلا الله وحده لا شريك له احثكم على طاعنه) لذلك سميت الخطبة التي لا تستفتح بالتحميد تسمى خطبة بتراء مثل خطبة زياد بن ابيه ، بالمقابل سميت الخطبة التي تخلو من الاستشهاد بالآيات القرآنية بالشوهاء لذلك قيل عن عمران ابن حطان الخارجي (هذا الفتى اخطب العرب لو كان في خطبه شيء من القران) .
٢. شيوع الطابع الديني : اذ تأثرت الخطبة كالشعر بالإسلام والقران فقد اقتبس الخطباء الالفاظ القرآنية ومعانيها في خطبهم بل قد جعل بعض الخطباء خطبته كلها قرانا كما فعل مصعب بن الزبير في خطبته .
٣. اتصفت بوحدة الموضوع والإيجاز والقصر والسهولة والوضوح .
٤. وردت المحسنات البديعية بشكل عفوي غير مصطنع على عكس ما قبل الاسلام .

ثانيا- الكتابة

من الادلة التي تثبت معرفة العرب للكتابة في عصر صدر الاسلام :

١. **ان العرب عرفوا الكتابة وما يتصل بها من ادوات ووسائل للقراءة منذ نزول الوحي جبريل (عليه السلام) وأول اية نزلت على الرسول (عليه الصلاة والسلام) هو قوله تعالى : (اقرا باسم ربك الذي خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرا وربك الاكرم الذي علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم) واهم من ذلك ان الله اقسم بأهم ادوات الكتابة وهو القلم حين قال جلا وعلا : (ن والقلم وما يسطرون) وبالكتاب في قوله تعالى : (والطور وكتاب مسطور في رق منشور) وغيرها من الايات التي ترد فيها كلمات مثل (اللوح ، والقرطاس ، والصحف) نحو قوله تعالى : (بل هو قران مجيد في لوح محفوظ) وقوله تعالى : (ان هذا لفي الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى) .**
٢. **ان الرسول (عليه الصلاة والسلام) جعل فداء بعض اسرى قريش تعليم عشرة من صبيان المسلمين الكتابة والقراءة .**
٣. **عند نزول الوحي على الرسول (عليه الصلاة والسلام) كان هناك من يقوم بكتابة الايات القرآنية يسمون ب(كتاب الوحي) وهم الصحابة (عثمان بن عفان ، وعلي بن ابي طالب ، وزيد بن ثابت ، وابى بن كعب وغيرهم)**
٤. **استخدمت الكتابة بشكل واسع في كتابة كل ما يهم المسلمين في معاملاتهم وعقودهم وقد حث القران على استخدمها في المعاملات نحو قوله تعالى : (يايها الذين امنوا اذا تداينتم بدين الى اجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل . . .)**
٥. **عند هجرة الرسول (عليه الصلاة والسلام) الى المدينة اقام فيها المجتمع العربي الموحد ، اذ كتب وثيقة المدينة التي تنظم علاقات المجتمع الواحد.**

٦- استخدم النبي (عليه الصلاة والسلام) الكتابة ايضا في كتبه الى ملوك العرب والعجم حين اخذ يدعوهم الى الاسلام والتصديق برسالته والذي كان من ابرزهم (النجاشي ملك الحبشة ، وهرقل ملك الروم ، وكسرى ملك الفرس) .

- الأدب في العصر الأموي -

بدأت الدولة الاموية بتولي اول خليفة اموي الخلافة هو معاوية بن ابي سفيان سنة٤١هـ ، وانتهت بسقوطها عام١٣٢هـ . حين قتل اخر خلفائها مروان بن محمد ونشأت على انقائضها دولة بني العباس .

وانتقال الخلافة الى بني امية يعد انقلابا كبيرا في تاريخ الاسلام ، اذ كان حكم الدولة في زمن الخلفاء الراشدين خلافة دينية فصارت في بني امية ملكا وكانت شورى فصارت ارثا . إذ هذا العصر يمتد اكثر من ٩٠ سنة وهي اطول فترة في العصر الاسلامي .

س : لماذا عد الادب في العصر الاموي ادبا اسلاميا ؟

١- لان اثر الاسلام ازداد رسوخا وعمقا وأصبح واضحا في عصر بني امية ، فسنرى ان الادب الاموي كان اكثر اظهارا للمعاني الاسلامية التي كانت وليدة عصر صدر الاسلام
٢- ان الادب الاموي تمثل بالإسلام قيما ومبادئ خير تمثيل ، وعبروا عن هذه القيم والمبادئ بشكل جيد .
٣- نشوء الاحزاب السياسية ، ونشوءها هو ليس دليل ضعف .

العوامل المؤثرة في تطور الشعر الاموي

اسباب تطوره

١- تشجيع خلفاء بنى أمية للشعراء حيث منحوا الشعراء مكانة أدبية ومادية عظيمة مما جعل الشعراء يجيدون فى أشعارهم كى يحصلوا على عطايا الخلفاء والمكانة المرموقة عندهم .
٢- ظهور الأحزاب السياسية فقد كان كل حزب يحتاج إلى الشعراء الذين يؤيدونه ويدافعون عنه .
٣- التنافس بين الشعراء حتى يثبتوا مكانتهم وتفوقهم فينالوا استحسان العامة والخاصة .
٤- عودة العصبية القبلية الجاهلية وساعد على عودتها خلفاء بنى أمية كى يشغلوا الناس عن عيوب الحكم .
٥- حياة الترف والرفاهية التى كان يعيشها الشعراء جعلهم يتفرغون لقول الشعر والتفنن فيه .

مراكز الشعر في العصر الأموي

اولا : المدينة ومكة

اصبحت المدينة ومكة مركزين مهمين من مراكز الشعر في عصر يني امية . فالمدينة ظلت محتفظة بتراثها الديني على الرغم من انها فقدت اهميتها السياسية في هذا العصر ، وذلك بسبب تحول الخلافة فيها الى (الكوفة) في عهد علي بن ابي طالب (رضي الله عنه) ثم تحولت بعد ذلك الى (دمشق) في عهد معاوية بن ابي سفيان .

الذي يلحظ ان المدينة ومكة قد غرقتا في ترف ونعيم وكثرة الغنى والثراء فيهما ويعزو الدكتور شوقي ضيف ذلك الى امرين هما :

الاول : هو ما خلفه فيها الصحابة الاوائل من اموال جلبوها من الفتوحات الاسلامية مثل الذهب والفضة والجواهر .

ونحن نقول : ان الغنيمة هي كل شيء يؤخذ من ساحة المعركة وهذه الغنيمة التي يحصلون عليها هي ليست ملك لأحد ، بل تقسم على المجموعة بالتساوي .

ثانيا : عندما بدا الخليفة عمر بن العزيز بتدوين الدواوين كان قد فرض لأهلها الاعطيات الكثيرة بالمقابل كان بني امية يفرضون لأهلها ايضا الاموال وهذه تكون قد ساعدت على الثراء .

وبسبب استقرار المجتمع الاسلامي في المدينة ومكة ظهرت نشاطات ادبية ، اذ كان للشباب دوره الواضح في اقامة المنافسات الادبية والعلمية ، وهذا ادى الى تأسيس (حركة النقد الاولى) في الفترة الاموية ، بسبب كثرة مجالس الادب فيها هذا من جهة ومن جهة اخرى فان اكثر خلفاء بني امية كان رواية للشعر ، فكانوا يفاضلون ويقارنون بين الشعراء على اساس ما يحفظونه من شعر ، لان اكثر خلفاء بني امية كان راوية للشعر ،فمثلا ان الخليفة عمر بن عبد العزيز كان قد سجن الشاعر الاحوص فجاء بعض الناس يستشفعونه عند الخليفة فقال عمر بن عبد العزيز : (الم يقل هذه الابيات الاحوص ، فيقولون : نعم يا امير المؤمنين) وهذا دليل على اهتمام الخلفاء بالشعر.

ثانيا : نجد والحجاز

مما قيل عن نجد والحجاز انهما كانتا على اطراف الجزيرة العربية ، لذلك فقد قل تأثرهما بالإسلام بسبب هذا البعد . هذا الكلام قد يكون صحيحا في بداية الدعوة الاسلامية ، ولكن في العصر الاموي وبعد مرور ٤١ سنة على الاسلام لا يمكن تصديق هذا الامر ويعتبر مرفوض ، ذلك بان اكبر دليل على مدى تأثر اهل نجد والحجاز بالإسلام هو ظهور اغراض شعرية تتناسب ومنهج الاسلام ومنها الغزل العذري الذي يتسم بالنقاء ، والصفاء وسمو العاطفة ، وينسب الى بني عذرة ، وذلك لكثرة ما انتجت فيه ، وفي هذا الغزل المتأثر بالإسلام يصور

المرأة من جلال ووقار وما حرم الاوثان ظاهره وباطنه ولاشك في ان اسباب ظهوره يرجع الى الاسلام الذي طهر النفوس من الاثم والأوثان .

ثالثا : خراسان

سادت في خراسان الروح القبلية وهي حالة خاصة تخص شكل الحياة العامة في المجتمع القائم في العصر الاموي ، اذ ان التخطيط للمدينة انشا على اساس التجمع القبلي فقد جعل شعور الانتماء القبلي هو الاساس القائم لشكل الحياة وانعكاس لحياة السياسة .

الذي يلحظ ان حالة الشعر في خراسان مزدهرة ازدهارا كبيرا ، اذ يعزو الدكتور شوقي ضيف ذلك الى ان القبائل التي انضمت الى خراسان هي قبائل مضرية وله مقولة في ذلك هي (حيثما وجدت المضريين وجدت شعرا) ولكن هذه المقولة مرفوضة ، لان من الصحيح ظهور شعراء كثيرون من مضر ولكن ليس بهذه الدرجة كما صورها دكتورنا الفاضل .

وقد ظهرت اغراض شعرية عند عرب خراسان هي :

١. الفخر والهجاء بسبب النزعة القبلية .
٢. ظهور الغزل .
٣. ظهور عنصر الغربة والحنين للوطن .

رابعا : الشام

الشعر في الشام لم يشهد نشاطا مزدهرا عند عرب الشام الاصليين وان اغلب الشعر الذي ذكر في بلاد الشام هو ليس من صنعهم وإنما هو شعر الوافدين من شعراء نجد والحجاز والعراق فهؤلاء الشعراء لم يستقروا في الشام ، بل يقولون القصائد لغرض الحصول على الاموال والعطايا فنراهم يمدحون الخلفاء لغرض مادي فهو شعر طارئ ليس من صنع اهل الشام . ومن هذا الشعر ما كان طارئا مع البيت الاموي نفسه .

وشهد هذا المركز حالة مهمة يصح ان نسميها بالشعر الرسمي ، لان الشعر قد قيل من بعض رجال الدولة الرسميين من مثل معاوية ابن ابي سفيان ، ويزيد بن معاوية ، ويزيد بن عبد الملك وغيرهم .

الاغراض الشعرية الجديدة والمتطورة في العصر الاموي

أولا- شعر النقائض في العصر الأموي

النقائض لغة: جاءت من الفعل الثلاثي (نقض) يقال: نقض البناء اذا هدمه ،ونقض الحبل اذا حله ، ونقض الشيء اذا خالفه ، ونقض فلان كلام فلان إذا أثبت بطلانه . وهذا المعنى يتمثل في القصيدة الثانية التي يرد فيها الشاعر الثاني على القصيدة الأولى ليهدمها ويثبت بطلانها.

والنقائض اصطلاحا : لون من ألوان الهجاء والتحدي بين شاعرين ، يبدأ الأول فيهجو الآخر ويفاخره بقصيدة على وزن خاص وقافية خاصة ، فيرد عليه الآخر بقصيدة أخرى من ذات الوزن والقافية بحيث يحاول ثبات تفوقه عليه في المعاني اي ان النقض في الاصل من صفات القصيدة الثانية التي نهضت لترد على الاول .

نشأة النقائض : تطورت النقائض من فن الهجاء الجاهلي القديم، حيث كان الشعراء يهجون القبائل التي تناصبهم العداء وفي الاسلام تهاجى شعراء المسلمين مع شعراء المشركين، لكن عناصر هذا الهجاء في الجاهلية وصدر الإسلام كانت بسيطة لا تعقيد فيها ، حيث لم يتقيد الشعراء بالرد على نفس الوزن والقافية ، وبنقض كل معنى من معاني هجاء خصومهم ، وكان الهجاء يتوقف بتوقف الحرب

أما في العصر الأموي فقد تعقدت قصيدة الهجاء وكثُر عدد أبياتها ، وتحول الهجاء إلى غرض دائم مستمر .

- وجد هذا الفن لدى الناس ميولاً واستحساناً ، حيث كانوا يلتفون حلقات ليسمعوا الجديد من الهجاء والأخبار والنوادر . ويتحركون من شاعر لآخر ليهيجوا الحماس ويثيروا النفوس .

- أصبح هم الشاعر رضا الناس وإثبات تفوقه على خصمه الأمر الذي جعل هذا الهجاء يتحول إلى غرض جديد عُرف بالنقائض . وتحول من الهجاء الخالص إلى ضرب من ضروب الملاهي

وبذلك اصبحت النقائض في العصر الاموي تتقيد بقيود والتي كان من ابرزها :

اولا : التزام القالب الشعري الذي بدا به الخصم مثل الوزن والقافية

ثانيا : تقصي معاني القصيدة الاولى وتفنيدها معنى معنى

ثالثا : التزود بألوان من الثقافة لا غنى عنها اهمها اخبار العرب وأيامها في الجاهلية

رابعا : مثلت النقائض في العصر الاموي فنا معقدا يقوم على موضوعات جاهلية قديمة كالهجاء والفخر الجاهلي وفي بعض الاحيان الخمر واخرى جديدة كطرق الاستدلال التي كان يعتمد عليها الفقهاء والعلماء اثناء حواراتهم ومناظراتهم .

بداية النقائض

اندلعت شرارة النقائض حين هجا شاعر من عشيرة سُلَيط اليربوعية التميمية يدعى غساناً – هجا جريرا ، فسقط عليه جريرا بهجاء مر فاستغاث منه بالبعيث المجاشعي فاغاثه فصب عليه جرير وعلى مجاشع شواظ النار وافحش بنسائهم افحاشا شديدا جعلهن يستغثن بالفرزدق وكان معروفا باقذاعه في الهجاء يقولن له ان جريرا هتك عورات نسائك فقام الفرزدق وهجا جريرا ومن هنا بدأت المهاجاة بين جرير والفرزدق .

وانزلق في هذه المناظرة كثير من الشعراء تحيزوا للفرزدق على جرير ومن ذلك ان الشاعر الراعي النميري اوقعه سوء حظه في تفضيل الفرزدق على جرير بقوله :

يا صاحبي دنا الرواح فسيرا غلب الفرزدق في الهجاء جريرا

فنظم جرير شعرا في هجا الراعي النميري يقول فيه :

فغض الطرف انك من نمير فلا كعبا بلغت ولا كلابا

وكذلك فضل الاخطل الفرزدق على جرير فاخذ جرير يهجو الاخطل والفرزدق .

عوامل ظهور النقائض

يمكن أن نرد نمو فن النقائض في العصر الأموي لأسباب يرجع بعضها إلى عوامل سياسية واجتماعية وعقلية

١. العوامل الاجتماعية: ومردها الى حاجة المجتمع العربي الى ضرب من الملاهي يقطع الناس به اوقاتهم الطويلة كما كان اهل مكة والمدينة يتسلون بالغناء كان لتشجيع الجماهير الاثر الكبير في ازدهار هذا الفن وتطوره خاصة في البصرة والكوفة اللتان استقرت فيهما القبائل العربية .

وتذهب بعض المؤلفات الحديثة الى ان شعراء النقائض يقومون بها على انها شيء يقصد به الى التسلية اكثر مما يقصد به الى السباب التهاجي ويستدلون على ذلك بصداقة جرير والفرزدق ورثاء جرير له بعد موته .

٢- العوامل العقلية : ومردها إلى نمو العقل العربي ومرانه الواسع على الحوار والجدل في الملل والنحل السياسية والعقدية والفقه والتشريع. وكانت المحاورات والمناقشات تدور في المجالس والمساجد بل حتى في الطرقات والأسواق وعلى مثال ذلك اخذ شعراء النقائض يتناظرون ويتفاخرون في مفاخر القبائل ومناقبها وهي مناظرات كانت تتخذ سوق المربد بالبصرة والكناسة بالكوفة مسرحين لها فالشعراء يذهبون الى هناك ويذهب الناس اليهم ويتحلقون حولهم ليروا لمن تكون له الغلبة .

٣- العوامل السياسية: العامل السياسي ناشىء من طبيعة السياسة التي انتهجتها خلفاء بني امية عندما استخدمت التعصب القبلي بين القبائل العربية ، لذلك لا نبالغ اذا قلنا ان خلفاء بني امية اسهموا في عودة التعصب القبلي حينما عملوا على اغراق الحجاز بالترف والنعيم ؛ لإبعاد اهلها عن التفكير بالسياسية اما في العراق عملت على اذكاء نار العداوة والخصومة بين الشعراء من خلال فن النقائض .

صفات ومميزات النقائض

اولا - طول النقائض : نجد هذه الصفة عامة في النقائض فهي اطول من قصائد الهجاء المعروفة بقصرها فقد تتجاوز النقيضة اكثر من (١٠٠بيت) وقد يرجع سبب ذلك الى امور منها :

1. **قد يكون بناء النقيضة الفني مشابها للقصيدة العربية قبل الاسلام**
2. **ان النقيضة تقوم على المحاججة وتفنيد المزاعم واثبات الحجة ومن ثم الرد .**
3. **ان المناقض لديه الوقت الكافي والفرصة للرد على الخصم فلم تعد المسالة مسالة هجاء عاجل بل اصبحت المسالة مسالة هجاء منقد يقوم على البحث في تاريخ القبائل ففي هذا الوقت يحاول كل شاعر بالتقاط نقاط ضعف القبيلة الثانية وينال من تاريخها ولان الشاعر يعرف ان قصيدته سوف تعرض على جمهور من الناس فلابد ان يسخر من خصمه .**

ثانيا – الجزالة في الالفاظ : تمتاز النقائض بجزالتها اللفظية والمستوى العالي في الاداء وهذا امر طبيعي لان شعراء النقائض هم علماء الشعر في العصر الاموي فلهم تجاربهم الشعرية ولهم باع طويل في النظم وهذه النقائض قد صدرت من شعراء فحول اساليبهم تشبه اساليب الشعراء في عصر ما قبل الاسلام وتميز الفرزدق بهذه الصفة حتى ان النقاد قالوا (لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب)

ولو تتبعنا اساليب شعراء النقائض سوف نجد ان الاخطل كان يعنى اشد العناية بصقل الالفاظ وكأنه من ذوق مدرسة زهير الجاهلية في حين لم يكن الفرزدق يعنى بصقل الفاظه كل هذه العناية لكن كان شعره يتميز بجزالة الالفاظ وهذا نابع من خشونة نفسه وصلابتها اما جرير فكان شعره يتميز بعذوبة الالفاظ وتأثره بالقران الكريم وأساليبه فجاءت اشعاره صافية لينة ومن هذا المنطلق قالوا (ان جريرا يغرف من بحر وان الفرودق ينحت من صخر)

ثالثا _ التكرار اللفظي : هذه الظاهرة نشأت بسبب طول النقائض مما دفع شعراء النقائض يميلون الى التكرار او قد يكون الشاعر معجبا بشاعر اخر فيقتبس او يستعير بعض الالفاظ منه في صدر البيت او في عجزه لشدة تأثيرها في النفوس والأذهان ومن ذلك قول الفرزدق :

جعل النبوة والخلافة ربنا فينا وحرمة بيته المعمور

جرير تأثر بقول الفرزدق فقال جرير مخاطبا الأخطل :

ان الذي حرم المكارم تغلبا جعل الخلافة والنبوة فينا

رابعا : الافحاش في الهجاء

لقد هتك شعراء النقائض الاعراض وأباحوا الحرمات وهذا الهجاء وصل الى درجة تشمز منه النفوس وتنكرها الاخلاق والتعاليم الاسلامية ، اذ ان الشاعر لا يتحرج من انتهاك الاعراض ،وإباحة الحرمات ، وتصوير العورات وهذا يتضح في قول جرير عندما يهجو الأخطل :

قوم اذا استنبح الاضياف كلبهم قالوا لامهم بولي على النار

تمسك البول شحا لا تجود به ولاتبول لهم إلا بمقدار

خامسا : التأثر بالإسلام

نشا شعراء النقائض في بيئة اسلامية دستورها كتاب الله فمنهم من قيد نفسه فأبى عليها إلا ان يحفظ القران الكريم حتى حفظه ، وهذا التأثر بالإسلام اتخذ اشكالا متعددة منها تضمين اشعارهم بآيات من الذكر الحكيم ، او تضمين حكم من احكام الاسلام ، او مسايرة روح الاسلام كقول الفرزدق :

ان الذي سمك السماء بنى لنا بيتا دعائمه اعز واطول

اذ ان الشاعر اقتبس المعنى السابق من قوله تعالى : ((اانتم اشد خلقا ام السماء بناءها رفع سمكها فسوائها ...))

ومن ذلك ايضا قوله :

ضربت عليك العنكبوت بنسجها وقضى عليك به الكتاب المنزل

وهذا يتناص مع قوله تعالى : (وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُون)

نشأة الشعر السياسي

الحقيقة ان ارتباط الشعر بالسياسة واضح ، من خلال ما يعكسه الشعر من انفعالات وجدانية للشاعر تعبر عن مشاعره وأفكاره وانتماءاته السياسية .

وقد تعددت الاراء في تحديد العصر الذي نشا فيه ، فمن الباحثين من يرى ان جذوره تمتد الى العصر الجاهلي ، فيعد الشعر الذي نظم في شؤون القبيلة شعرا سياسيا ، وكذلك في عصر صدر الاسلام فان الشعر الذي نظم في نصرة الاسلام وتعزيزه ،فهناك من يعده شعرا سياسيا .

ومع مجيء العصر الاموي ، برز فن الشعر السياسي بصورة واضحة ، بسبب ماحصل من مشكلات تتعلق بمقتل الخليفة عثمان ابن عفان (رضي الله عنه) ، ومن ثم ظهور الاحزاب السياسية في هذا العصر مثل (الحزب الاموي ،والحزب العلوي ، وحزب الخوارج ، وحزب الزبيريين) وكان لكل حزب من هذه الاحزاب شعراء يدافعون عنه ويؤيدون افكاره في الحكم .

شعر الحزب الاموي

اصحاب هذا الحزب كانوا يرون انهم اصلح الناس للحكم ، نظرا لما يتمتعون به من ماض مجيد ، لانهم كانوا يمثلون زعماء قريش وسادتها ،ولذلك فانهم الاحق بالخلافة ، فاعتمدوا على العصبية القبلية في ارساء قواعد حكمهم ، اذ بعد مقتل الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) وهو اموي اخذوا يطالبون بدمه ، وعندما تولي الامام علي بن ابي طالب (رضي الله عنه) الخلافة امتنع معاوية عن مبايعته وكان ذلك بداية الاستحواذ على السلطة ، وقد تحقق هدف الامويين في الاستيلاء على السلطة بعد خدعة التحكيم واستشهاد الامام علي بن ابي طالب (رضي الله عنه).

ظهرت وفرة من الالفاظ التي تشكل مادة شعرهم ، فمع تغير نظام الحكم من الخلافة الاسلامية الى ما يشبه الملكية برزت الالفاظ التي تدل على طبيعة هذا النظام ومن ابرز هذه الالفاظ هي :

١. الملك : لفظة وردت في قصائد الشعراء الامويين معبرة عن نظرية الحزب السياسية وقد كان الاخطل اكثر الشعراء استعمالا لهذه اللفظة في قصائده السياسية التي مدح بها الامويين ومن ذلك قوله في مدح بشر بن مروان :

اعطاكم الله ما انتم احق به اذا الملوك على امثاله اخترعوا

وقال ايضا يمدح الخليفة عبد الملك بن مروان :

ولم تر عيني مثل ملك رايته اتاك بلا طعن الرماح ولا الضرب

٢. بني امية : وقد وظف الاخطل هذه اللفظة في مدح الخليفة عبد الملك ابن مروان بقوله :

بني امية نعماكم مجللة تمت فلا منة فيها ولا كدر

بني امية قد ناضلت دونكم ابناء قوم هم اووا وهم نصروا

وغيرها من الالفاظ مثل (التاج ، بني حرب)

ونلحظ ايضا انه قد دافع عن نظرية الامويين بالخلافة عدد من الشعراء الذي كان دافعهم في ذلك التكسب نحو قول جرير في مدح عبد الملك بن مروان :

لولا الخليفة والقران يقراه ما قام للناس احكام ولاجمع

انت المبارك يهدي الله شيعته اذا تفرقت الاهواء والشيع

شعر الحزب الشيعي

كان التشيع ينمو في الكوفة منذ اتخذها علي بن ابي طالب (رضي الله عنه) عاصمة لخلافته ، وصار كثير من اهلها يؤمنون بان ابناء علي وأحفاده هم اهل الخلافة الحقيقيون وأصحابها الشرعيون ، وان الامويين اغتصبوها منهم .

وكان من ابرز ما تميز به شعر شعراؤهم حزنهم على ائمتهم الذين سفكت دمائهم ، وطابع البكاء والتفجع على الائمة ، ولم يقتصر شعرهم على الرثاء فقط بل اشتمل على التحريض والوعيد باخذ الثار من قتلة ال بيت النبي (عليه الصلاة والسلام) .

لقد تشبع الشعر العلوي بالمصطلحات والألفاظ ذات الدلالة السياسية والدينية ، واكثر الالفاظ دورانا في الشعر العلوي (بني هاشم ، وال البيت ، والشيعة ، وال احمد ، وال النبي وغيرها) ويلفت النظر ولع الشعراء الشيعة بلفظة (بني هاشم) التي وردت كثيرا في هاشميات الكميت يقول في احدى قصائده :

بني هاشم رهط النبي فانني بهم ولهم ارضى مرارا واغضب

فما لي إلا ال احمد شيعة وما لي إلا مشعب الحق مشعب

ابرز شعراء الحزب العلوي

الكميت بن زيد الاسدي

هنالك في الكوفة معقل بني هاشم ولد الكميت بن زيد الاسدي سنة ٦٠ هجرية وهي سنة لها في تاريخ الشيعة شان كبير، لانهم لا ينسون ان الحسين بن علي قتل فيها ، وتوفى سنة ١٢٦هجرية

نشا الكميت في الكوفة التي كانت منجم الثورات على بني امية وكانت ميدانا فسيحا للشعراء والخلفاء وعلماء اللغة وعلماء الدين فاستقى الكميت من هذه المعارف حتى صار يتميز بخصائص مهمة منها انه اصبح خطيبا ، وحافظا للقران الكريم ، وكان راميا لم يكن في بني اسد ارمى منه ، وكان خطاطا ، وكان معلما وفقيها .

ينتمي هذا الشاعر الى قبيلة اسد وهذه القبيلة اشتهرت بتشيعها قبل ان يولد الكميت فمن الطبيعي ان يكون الشاعر متشيعا على مذهب قبيلته . اشتهر الكميت بهاشمياته وهي القصائد التي قالها في بني هاشم لاثبات حقهم السياسي والديني في الخلافة ومن خصائصها :

اولا – لا تبتدئ ببكاء الاطلال والديار ، انما بحب اهل البيت ،كقصيدته البائية (طربت وما شوقا الى البيض اطرب) فلم يصف فيها رحلته الى الصحراء الا في اخر القصيدة ، وذلك لئلا يشغله شيء عن مدح والدفاع عن اهل البيت ، وقد قيل ان هشام بن عبد الملك حبسه على اثرها .

ثانيا- المحاججة والمجادلة بالشعر ، فقد كان شعره مناظرات في حقوق الهاشميين يستعين فيها بالادلة وايات القران الكريم على تقرير حق البيت الهاشمي في الخلافة

ثالثا- كانت هاشمياته تمتاز بطول النفس حيث امتازت بكثرة عدد ابياتها

حزب الخوارج

هم الذين خرجوا على الامام علي بن ابي طالب (رضي الله عنه) ممن قاتلوا معه في صفين ، بعد موافقته على التحكيم فلما وافق رايهم وتم التحكيم خرجوا عليه وقالوا : (لا حكم الالله)وهو شعارهم ومنه سموا بالمحكمة ومن خلال دراسة الشعر الخارجي واستقرائه يمكن تحديد الالفاظ التي تتردد في الشعر الخارجي وتتمثل هذه الالفاظ بالشراة واشترى وشرى ، والخوارج وخرج ونفر ، والتحكيم ، ولا حكم الا لله ، والحرورية ، ودار الحرب ، الصبر والبيع والموت ، والدهر وغيرها .

وتمثل لفظة الشراة اكثر الالفاظ استخداما في الشعر الخارجي وهي ماخوذة في الفعل (شرى) وردت في القران الكريم في قوله تعالى : ((ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله))

يقول ابي بلال مرداس احد شعراء الخوارج :

تقوى الاله وخوف النار اخرجني وبيع نفسي بما ليست له ثمنا

فدلالة لفظة البيع مرتبطة ببيع الخارجي نفسه الى الله بثمن الجنة وهي تاكيد لحب الخوارج للموت في سبيل الله والانتقال الى دار القرار .

وهناك الفاظ اخرى دارت حولها معاني الشعر السياسي ، ابرزها لفظة الموت ، فالموت يمثل بالنسبة للخوارج التضحية في سبيل المبادئ وحب الوصول الى الحياة الاخرى فقد كانت تمثل دلالة واضحة على حب الخوارج للموت ومن ذلك ما ورد عند شاعرهم البهلول : من كان يكره ان يلقى منيته ، فالموت اشهى الى قلبي من العسل

ومن الخوارج شاعرات مثل ام حكيم ومن قولها :

احمل رأسا قد سئمت حمله وقد مللت دهنه وغسله

ألا فتى يحمل عني ثقله

وهي تنشد الموت شهيدة في هذه الابيات ، ولم تكن شاعرة فحسب بل مقاتلة وكانت من اجمل الناس وجها وأشجعهم وأحسنهم بدينها تمسكا .

ابرز شعراء حزب الخوارج

الطرماح

شاعر نشا في الشام وانتقل الى الكوفة واختلف الرواة في الفرقة

التي دخل فيها ، فقال ابو الفرج الاصفهاني : انه دخل في فرقة الازارقة ، وقال الجاحظ : هو من الصفرية ، وقول الجاحظ هو الصحيح لانه كان قعدة الخوارج لا يقاتل مسالم الى ابعد حد ولو كان من الازارقة ما استحل القعود وايضا كان يقيم علاقات صداقة مع ناس يخالفونه في الفكر فقد عقد صداقة شديدة بينه وبين الكميت يقول الجاحظ : ((لم ير الناس اعجب حالا من الكميت والطرماح ... كان الكميت يتعصب لأهل الكوفة ، وكان الطرماح يتعصب لأهل الشام)) واكبر الظن الذي وثق بيتهما هذه الصلة احترافهما مهنة واحدة هي تعليم الناشئة فقد كانا معلمين وكانا خطيبين كما كانا شاعرين .

ويظهر انه لم يكن يكفيه ما تدره عليه مهنة التعليم ، اذ نراه يحمل مديحه الى ابواب الملوك والأمراء ففي اخباره انه قدم مع الكميت على مخلد بن يزيد ابن المهلب واراد ان يمدحه قاعدا فنحاه مخلد ودعي الكميت فانشده قائما فأمر له بخمسين الف درهم فلما خرجا شاطره الكميت ما اخذه .

وكل من يقرا شعر الطرماح يلاحظ لا يجري على وتيرة لغوية واحدة فهو حين يصدر عن عقيدته او يمح او يهجو لا يغرب عن سامعيه ولكن حين يصف الصحراء يجمع اوابد الالفاظ ووحشيها وهو جانب دفعه اليه تعليمه الناشئة وكانما شعره ينقسم الى قسمين

الاول : يتسم بالسهولة وهو ماكان يدور في افواه الناس

الثاني : يتسم بالصعوبة وهو ماكان يدور في افواه المتأدبين حتى يقفوا على الالفاظ اللغوية الغريبة فهو قسم تعليمي محض .

حزب الزبيريين

ظهر هذا الحزب في بداية العصر الاموي خلال خلافة يزيد بن معاوية ، عندما نشط عبدالله بن الزبير في الدعوة لنفسه في الحجاز ، واذا كان ظهور هذا الحزب في الحجاز ، فان نشاطه امتد بعد ذلك ليتخذ من العراق والبصرة بخاصة مركزا لنشاطه السياسي .

ويعد هذا الحزب من اقصر احزاب المعارضة عمرا ، اذ سرعان ما اختفى من ساحة النزاع حول الخلافة ، بعد مقتل زعيمه عبد الله ابن الزبير ، وكانت نظرية هذا الحزب قائمة على بقاء مركز الخلافة في الحجاز ، وان يكون الخليفة عربيا قرشيا ومن الزبيريين بخاصة ، وقد اسهمت عدة عوامل في سقوط هذا الحزب نذكر منها :

اولا- جعل مقر حكومته في الحجاز فقط ولم تلق نجاحا كافيا في سائر انحاء الدولة العربية الاسلامية .

ثانيا – كان لظهور الاحزاب الاخرى وقتالهم المستمر لابن الزبير دوره في سقوط هذا الحزب .

ثالثا- ما اشتهر به عبد الله بن الزبير في حرصه على الاموال ، فلم يعمل على اجتذاب الشعراء كما فعل الامويين الذين لهجوا بمحامدهم ، وبثوا الدعاية لدولتهم رغبة في الحصول على الاموال والعطايا .

شعراء الحزب الزبيري

عبيدالله بن قيس بن الرقيات

اختلف الرواة في اسمه هل هو عبيدالله ام عبدالله والراجح انه الاول ، وكذلك اختلفوا في نعته بالرقيات والراجح انه كان يشبب بفتاة اسمها (رقية) وهو قرشي مولود بمكة ويبدو من اخباره انه عاش في المدينة المنورة فترة ولعل الذي دفعه الى ذلك ولعه بالمغنيين والمغنيات ، وان طائفة من ال بيته قتلوا في موقعة الحرة من بينهم ابناء اخيه ، فهزته تلك الاحداث وبكى اهله بكاءا شديدا وكان يدعو للثورة على الحكم الاموي .

وشعر ابن قيس يعد الوثيقة السياسية الادبية التي تمثل اراء الزبيريين ، اذ سخر شعره لتحقيق اغراضهم السياسية فقد وظف الغزل لتحقيق هدفه السياسي فتغزل ابن قيس الرقيات بالنسوة الامويات معرضا بهن لاغاظة الامويين وهذا الغزل عرف بالغزل السياسي ومن ذلك قوله يتغزل بعاتكة زوج عبد الملك بن مروان يقول فيها :

اعاتك بنت العبشمية عاتكا ..... اثيبي امرءا امسى بحبك هالكا

ولعل من ابرز الالفاظ التي وردت في معجمه الشعري (قريش) ولعل السبب في ذلك هو نظرية الحزب الزبيري التي توكد احقية قريش في الخلافة وتعصبه لقبيلته قريش وتغنيه بماضيها المجيد في عهد الخلافة الراشدة بقوله :

ايها المشتهي فناء قريش .... بيد الله عمرها والفناء

ان تودع من البلاد قريش.... لا يكن بعدهم لحي بقاء

خصائص شعر عبيد الله بن الرقيات

أولا- لم يقتصر شعره على الدعاية للزبيريين بل افتخر بقريش عموما .

ثانيا – صدق العاطفة في شعره وسهولة التعبير ووضوحه

ثالثا – اشتهر ابن الرقيات بلون من الغزل اصطلح على تسميته بالغزل الكيدي الذي كان يغيض به خصومه وقد ادى هذا الغزل الى هدر دمه وبعد مقتل ابن الزبير خرج ابن الرقيات الى الكوفة فاقام سنة وقصد الشام فلجا الى اقارب الخليفة عبد الملك بن مروان فأمنه .

فنون النثر في العصر الأموي

أولاً : الخطابة :

أسهمت عوامل كثيرة في ازدهار الخطابة لعصر بني أمية من أهمها :

١- الموهبة البيانية : إذ كانت لا تزال للعرب سلائقهم اللغوية ، ولم تفسد ألسنتهم بمجاورة الأمم الأعجمية والاختلاط بشعوبها ، وكانوا من البلاغة والمنطق وحسن البيان وجودة الإفصاح والإفهام بحيث جعلهم الجاحظ في كتابه البيان والتبيين أرفع من جميع الأمم في الخطابة .

٢- الحالة السياسية : حيث امتاز هذا العصر بظهور معارضة حادة للدولة الأموية ، فامتشق الخطباء ألسنتهم في تصوير مذاهبهم السياسية يدعون لها ضد بني أمية ، يقابلها أنصار بني

أمية بخطابة ملتهبة . ومن أبرز خطبائهم زياد ابن أبيه . إضافة إلى ما كان من خطابة القواد ي الجيوش الغازية شرقاً وغرباً ، وما احتدم بين القبائل من خصومات قبلية جعلتهم يقتتلون ويخطبون متوعدين منذرين .

٣ـ المحافل والوفد : التي امتد أثرها من العصر الجاهلي وكان في حياة النبي صلى الله عليه وسلم كثير منها . ولما فتحت الأمصار كان يقدم على الخلفاء الراشدين وفود يذكرون حاجاتهم في أمصارهم الجديدة .وتحولت هذه الوفود إلى سيول في عصر بني أمية تتحدث عن شؤون قومها وشكاواهم ، واتسع الأمر إلى خطب التهنئة والتعزية . وكانوا يسمون هذه المحافل بالمقامات ، وإن تصادف اجتماع الوفود تبارى الخطباء في إظهار سبقهم في الفصاحة والبيان . ومن أبرز خطباء المحافل الأحنف بن قيس .

٤ـ الوعظ الديني : دفع إلى نشاط واسع في الخطابة بجعلها جزءً من صلاة الجمعة والعيدين لوعظ الناس ، وقد اشترك في إلقائها الخلفاء والولاة وجمهور من الخطباء . ولم تلبث جماعة منهم أن عاشت في حياتها تعظ الناس ، وظهر القصاص الذين كانوا يقصون على الناس مازجين قصصهم بالتفسير والحديث وأخبار الكتب السماوية . ومن ابرز خطباء هذه الفئة الحسن البصري .

٥ـ الحياة العقلية : في بيئة الوعظ والقصص أخذ يتضح رقي العقل العربي بما أصاب من كنوز الثقافات الأجنبية ، فإذا جدل كثير ينشب في مسائل العقيدة ، وتكونت فرق الجبرية والمرجئة والقدرية والمعتزلة ، وقامت بينهم المناظرات العنيفة ، التي حشدوا لها ما يمكن من أدلة نقليه وعقلية مدارها البرهان المنطقي . وعلى هذا النحو انبثق علم الكلام ، وانبثقت معه صورة خطابية جدلية هي صور المناظرة والمحاورة ، فكان الناس يجتمعون من حول أصحاب هذه الصور في حلقات ، مما كان له أثر كبير في رقي الخطابة رقياً بعيداً .

ثانياً : الكتابة .

كان العرب في معظمهم أميين حتى جاء الإسلام وحثهم على العلم ، وكان لاختلاطهم بالأعاجم دور في أن يفهموا فكرة الكتاب وأنه صحف يُجمع بعضها إلى بعض ، فأخذوا يتحولون بسرعة من أمة لا تعرف من المعارف إلا ما حواه الصدر ووعته الآذان إلى أمة كاتبة .

ـ ومن أوائل ما عنوا بتدوينه في العصر الأموي أخبار آبائهم في الجاهلية وأنسابهم وأشعارهم ، ولا نكاد نصل إلى العصر الأموي حتى يتكون بالبصرة والكوفة جيل من الرواة معني بتدوين أخبار العرب في الجاهلية وأشعارهم ، وخير من يمثلهم أبو عمرو بن العلاء .

ـ وكان أجل من ذلك تدوين العرب لمكل ما يتصل بدينهم الحنيف ، فقد تأسست في كل بلدة إسلامية مدرسة دينية عنيت بتفسير القرآن ورواية الحديث وتلقين الناس الفقه وشؤون التشريع .

ـ كما دونت منذ القرن الأول مغازي الرسول صلى الله عليه وسلم ، وضُمت إليها مادة تاريخية كبيرة عن الفتوح الإسلامية وأخبار الخلفاء الراشدين وخلفاء بني أمية .

ـ إضافة إلى العناية بتدوين أخبار الأمم السالفة من ملوك العرب وأخبار عاد وثمود ولقمان وجرهم وممالك طسم وجديس وملوك حمير والقرون الغابرة . ونقلوا عن الموالي بعض معارفهم في العلوم المختلفة ، وكان مما دونوا جملة رسائلهم السياسية ، ودونوا كثيراً من خطبهم خاصة خطب الخلفاء والنابهين من الوعاظ وغيرهم . وكثيراً من رسائلهم الوعظية والشخصية . فقد شاعت في أواخر القرن الأول كتابات وعظية كثيرة ، واشتهر عمر بن عبد العزيز بأنه كان يكتب إلى الوعاظ ليرسلوا إليه بعظاتهم . أما الرسائل الشخصية فشاعت بحكم تباعد العرب في مواطنهم ، وبتأثير بعض ظروف من موت يقتضي التعزية أو ولاية تقتضي التهنئة أو شفاعة عند وال لقريب أو صديق أو عتاب أو اعتذار . وفي كل ذلك ما يدل على اتساع حركة